مفهوم الفيلانثروبيا ἡ φιλανθρωπία عند فيلون السكندري

بحث مقدم من الدكتورة /زينب أحمد السقيلي

مدرس بالمعهد العالي للسياحة والفنادق -السيوف -الاسكندرية

اهتم فلاسفة اليونان بتحديد معنى الفضائل الأخلاقية التي تعتبر أساس البحث في مجال الأخلاق. وحينما نتحدث عن الفضائل الأخلاقية فإننا بالطبع نتحدث عن الفلسفة في مرحلتها التالية على مرحلة البحث في الطبيعة والمبادئ الأولى للكون. حيث انصرف الفلاسفة في بادئ الأمر للبحث عن العلل الأولى للكون فقط دون النظر فيما يتعلق بالانسان والأخلاق. ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أخذ البحث الفلسفي منحاً آخر حيث تحولت الفلسفة من البحث في العلل الأولى للكون إلى البحث في الإنسان وجاءت الريادة في ذلك التحول على يد السوفسطائيين (النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد) وسقراط (470-399ق.م) ومنذ ذلك الوقت أصبح البحث في مجال الأخلاق هو أساس البحث الفلسفي وظهرت النظريات الأخلاقية الفلسفية المتتالية على يد أفلاطون (428-348ق.م) وأرسطو (384-322ق.م) والمدارس الفلسفية المتأخرة (القرن الثالث قبل الميلاد) التي سميت أيضاً بالمدارس الأخلاقية نظراً لاهتمامها بالبحث الأخلاقي في المقام الأول.

وقد حدد فلاسفة اليونان على اختلاف نظرياتهم الفلسفية الفضائل الأخلاقية بأربع فضائل وهي الحكمة ἡ φρόνισις والعدالة ἡ δικσιοσύνη والشجاعة ἡ ἀνδρεία والإعتدال ἡ σωφροσύνη وكان هذا التصنيف الرباعي للفضائل الأخلاقية شائعاً بين فلاسفة اليونان على مر العصور. حيث نجد سقراط وأفلاطون وأرسطو ورواد الفلسفة في العصر الهللينستي يعملون وفقاً لهذا التصنيف في مجال البحث في الفضائل الأخلاقية. وقد أضاف أرسطو لتلك الفضائل فضيلة خامسة أطلق عليها تاج الفضائل جميعاً وهي فضيلة السمو النفسي ἡ μεγαλοψυχία واستمر البحث في الفضائل الأخلاقية قاصراً على هذا التصنيف إلى أن تحدث فيلون السكندري (20ق.م-40م) عن فضيلة أخرى وهي فضيلة الفيلانثروبيا ἡ φιλανθρωπία والتي هي موضوع البحث.

وقبل أن نستعرض المواضع التي جاء بها ذكر للفيلانثروبيا يجب أن نتوقف قليلاً عند هذا المصطلح من الناحية اللغوية. فهو مشتق من الفعل φιλῶ الذي يعني يحب وكلمة ἄνθρωπος التي تعني الإنسان. أما عن الفعل اليوناني φιλῶ فهو يختلف من حيث المعنى والدلالة عن مصطلحات يونانية أخرى تشير إلى معنى الحب منها مصطلح Ἔρως والذي يعكس مفهوم الحب بالمعنى العام والدراج للكلمة أي الحب العاطفى والذي يشتمل كذلك على الرغبة والإنجذاب فضلاً عن أن مصطلح الإيروس يحمل أيضاً شقاً فلسفياً حيث يشتمل على كل معاني الحب وصوره فقد سُمي إله الحب عند اليونانيين بالإيروس. ومنها كذلك الفعل στέργω والذي يعني الحب المتبادل بين الآباء والأبناء أو بين الحاكم والرعية أو بين الإخوة والأخوات أو بين الأصدقاء. وهناك أيضاً مصطلح ἀγάπη والذي يشير إلى معنى الحب الأخوي أو حب الخير أو حب الإله للبشر وحب البشر للإله، وقد استخدم هذا المصطلح في الدين المسيحي بهذا المفهوم.

أما الفعل φιλῶ فقد اشتُق منه كلمة φιλία بمعنى المحبة أو الود أو الصداقة[1]. وأما عن الشق الثاني لمصطلح الفيلانثروبيا وهي كلمة ὁ ἄνθρωπος فهي تشير إلى معنى الإنسان كذكر أو أنثى وليس كذكر فقط، كذلك فهي تشتمل على مفهوم الإنسان سواء كان متحضراً أو غير متحضر، سيداً كان أو عبداً، أي أن هذه الكلمة هنا تشير إلى المفهوم الأخلاقي العام والشامل لكلمة إنسان. والذي ينطبق مع تعريف أفلاطون للإنسان بأنه "هو الذي ينظر ويتأمل ويفكر فيما يراه" ὁ ἄνθρωπος᾽ ὠνομάσθη, ἀναθρῶν ἃ ὄπωπε [2] لأن الحيوانات الأخرى لا تفحص أو تدقق فيما ترى لكن الإنسان لا يرى فحسب بل يرى ويتأمل ما يراه ويبحث ويفكر فيه. وفيما يتعلق بمصطلح الفيلانثروبيا موضوع البحث فإن المقصود به حب الإنسانية أو الإنسانية لكنها كفضيلة دالة في ذاتها على كافة أشكال الحب والتراحم والتآلف، ومفهوم الحب في هذه الحالة هو أقرب إلى معنى المساواة أو حب الغير على غرار حب الذات، فلا يتضمن هذا النوع من المحبة إعجاباً أو إنجذاباً عاطفياً أو مادياً ولا يحمل كذلك هذا النوع معنى الحب الأبوي بل هو أقرب إلى مفهوم التراحم والتعاطف والتكافل والصداقة، وهو مفهوم ينطبق على الإنسان في المقام الأول. لذلك كان اشتقاق هذا المصطلح من الفعل φιλῶ هو الاشتقاق الأكمل والأكثر تطابقاً مع المعنى الحقيقي المقصود منه.

الإستخدام الكلاسيكي لمصطلح الفيلانثروبيا:

لم يكن مصطلح ال ἡ φιλανθρωπία مصطلحاً فيلونياً خالصاً حيث سبق وأن كان لهذا المصطلح أصداءًا في مجالات مختلفة من الفكر اليوناني القديم السابق على فيلون. فقد ظهر هذا المصطلح على سبيل المثال في مجال المسرح اليوناني القديم عند أيسخيلوس (525-455ق.م) في مسرحية بعنوان "بروميثيوس مقيداً" حيث يطلق هذه الصفة على بروميثيوس فيصفه بأنه بطل البشرية [3] φιλάνθρωπος ويتكرر هذا الوصف في أكثر من موضع في المسرحية فنجد هيفايستوس يصف بروميثيوس بعد عدة سطور من الموضع السابق بأنه عطوف ومحب للبشرية لما قدمه للبشر من خير[4]، فما فعله بروميثيوس للبشر إنما هو ولاء وحب لهم وليس انصياعاً لطغيان زيوس. كما ورد هذا المصطلح في إحدى المسرحيات الكوميدية لأريستوفانيس (446-386ق.م) وهي مسرحية "السلام" حيث وردت كصفة في صيغة التفضيل φιλανθρωπότατος إشارة للإله هيرميس الذي يرعى البشر ويعتني بأمورهم بوصفه الأكثر حباً للإنسان[5]. ونلاحظ من خلال هاتين المسرحيتين أن استخدام مصطلح الفيلانثروبيا جاء متطابقاً من حيث المعنى ألا وهو حب البشر الذي يعبر عن الولاء وإيثار الصالح بالنسبة لهم وربما كان الإختلاف الوحيد بين الإستخدامين إنما ينحصر في صاحب هذه الصفة فنراها تستخدم

---

[1] - حول معنى ومفهوم ودلالة هذه المصطلحات راجع:
- An Intermediate Greek Lexicon, Founded upon the 7th edition of Liddell and Scott's Greek English Lexicon, Oxford, At The Clarendon Press,1968, pp. 4,317,744,862.
ولمزيد حول الفرق بين أنواع الحب المختلفة راجع:
- Lewis, C.S, The Four Loves, published by Geoffrey Bles, 1960.

[2] - Plato, Cratylus, 399c.

[3] - Aeschylus, Prometheus Bound, 11.

[4] - Ibid, 28.

[5] - Aristophanes, Peace, 392.

مرة في وصف إنسان أو شبيه للإله كما جاء في مسرحية "بروميثيوس مقيداً"، ومرة أخرى في وصف إله كما جاء في مسرحية "السلام".

الفيلانثروبيا عند أفلاطون:

ورد هذا المصطلح في مجال الفلسفة اليونانية أيضاً حيث نجد له ذكراً في مواضع قليلة جداً في بعض محاورات أفلاطون وتحديداً في ثلاث محاورات فقط وهي محاورة "القوانين" ومحاورة "المأدبة" ومحاورة "يوتيفرون". ففي محاورة "القوانين" يتحدث الأثيني عن الحكام والملوك الأوائل في العصور السابقة عليهم، فيقول بأن كرونوس كان يعلم جيداً طبيعة البشر وكيف أن هذه الطبيعة لن تؤهلهم لحكم شئون غيرهم من البشر دون أن يشوب أنفسهم الزهو والتكبر والظلم لذلك فلم يعهد بحكم الدولة في أثينا إلى البشر بل إلى أشباه الآلهة γένος θειοτέρος لأن الإله محب للبشر φιλάνθρωπος[6]. ويحمل هذا التشبيه الأفلاطوني بُعداً سياسياً هاماً يتفق مع الخلفية التاريخية المعروفة عن أثينا ودورها ومكانتها بين دويلات المدن اليونانية، فالفقرة تعبر عن ذلك الشعور المتأصل بالتميز والتفرد للأثينيين عن غيرهم من دول المدن اليونانية فالأثيني في هذه الفقرة يقول بأن حكام مدينتهم كانوا أشباهاً للآلهة وليسوا بشراً. كذلك فإن تشبيه الحكام الأُول لمدينة أثينا بأنهم من نسل الآلهة إنما هو إشارة إلى العصور الذهبية السابقة لذلك المجتمع قبل انهياره وضياع مكانته بعد الحروب البلوبونيسية عام 404ق.م.

أما المحاورة الثانية التي ورد بها ذكر لهذا المصطلح وهي محاورة "المأدبة" فنجد فيها أريستوفانيس يقول في كلمته عن الحب: " في رأيي أن البشر يجهلون تماماً سلطان الإيروس لأنهم لو كانوا يعلمون (قدره) لبنوا له المعابد والمذابح العظيمة وقدموا له أعظم الأضحيات وليس كما هو الحال الآن حيث لا يقومون بأي شيء من هذا بينما يتعين عليهم القيام بذلك. لأن الإيروس هو أكثر الآلهة حباً للبشر θεῶν φιλανθρωπότατος ، وهو الذي يؤيدهم ويمد لهم يد العون والمساعدة كما لو كان طبيبiατρὸς يداوي مرضاه بالترياق الذي سيجلب السعادة القصوى μεγίστη εὐδαιμονία لكل الجنس البشري"[7].

أما عن الموضع الثالث الذي ورد به هذا المصطلح عند أفلاطون وهو محاورة "يوتيفرون" ففيه يتحدث سقراط مع يوتيفرون حول مفهوم التقوى ويقول له أن حبه للبشرية φιλανθρωπία هو ما يجعل الناس يعتقدون أنه قادر على نقل حكمته لأي إنسان ليس فقط دون مقابل وإنما أيضاً بسعادة[8]. ويعتبر هذا الاستخدام هو أول استخدام لهذا المصطلح في وصف إنسان وليس إله أو شبيه بالإله وهو ما يشكل نقطة تحول في استخدام هذا المصطلح وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد ومع ذلك فإن استخدام هذا المصطلح فيما له علاقه بوصف إله أو شبيه بالإله لم يختفي، كما أن هذا الاستخدام يعتبر هو أول استخدام فلسفي يربط بين هذا المصطلح وبين المعرفة.[9]

---

[6]- Plato, Laws, IV, 713d.
[7]- Idem, Symposium, 189c-d.
[8] - Idem, Euthyphro, 3d.
[9]- Sulek M., On The Classical Meaning of Philanthropia, Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, published by SAGE on behalf of ARNOVA (Assossiation for

وجدير بالذكر أنه خلال القرن الرابع قبل الميلاد قام بعض رواد الأكاديمية الأفلاطونية بعمل معجم لتفسير بعض المعاني والمصطلحات الفلسفية ومن بينها مفهوم الفيلانثروبيا وجاء تعريفها على النحو التالي:

الفيلانثروبيا هي العادات الحميدة المكتسبة εὐάγωγος ἔθους الناتجة عن حب البشرية ἄνθρωπον φιλίαν. كذلك يُقصد بها تحقيق الخيرية للبشر εὐεργετική أو الفضل χάρις أو أنها حالة من التعقل أو التذكر التي ترتبط بفعل الخير εὐεργεσία[10].

الاستخدام الأرسطي لمصطلح الفيلانثروبيا:

استخدم أرسطو هذا المصطلح في مؤلفاته في مجال الأخلاق والسياسة وكذلك في مجال الشعر، وقد جاء أبرز استخدام لهذا المصطلح في كتابه بعنوان "فن الشعر" حيث يذكر أرسطو أن الشاعر التراجيدي يحاول أن يثير مشاعر الشفقة ἐλεεινός والخوف φοβερός والإنسانية φιλανθρωπία بهدف الوصول للهدف الدرامي المنشود من التطهر κάθαρσις أو تحرير المشاعر في المستمعين. ويكون الوصول إلى ذلك الأثر عن طريق تصوير شخصيات فاضلة وخيّرة بالطبيعة ولكنها ثانوية وهامشية أو أنها تملك القليل، ومع ذلك فإنها مميزة وهم يتحولون من تلك الطبيعة الخيّرة إلى الشر عن طريق ارتكاب إثم أو خطأ ἁμάρτημα أو بمعنى آخر يتحولون من الحظ الجيد إلى الحظ السيء عن طريق هذا الإثم. ويتضمن ذلك أيضاً تصوير الأشرار الذين يتحولون من الخير إلى الشر وهو ما ينتج عنه الشعور بالإنسانية φιλανθρωπία وليس الشفقة ἐλεεινός والخوف φοβερός[11]. وهذه هي الغاية القصوى من المسرح اليوناني الكلاسيكي. وعلى هذا النحو فإن المفهوم الأرسطي فيما يتعلق بمصطلح الفيلانثروبيا هو التعاطف العام نحو البشر، بغض النظر عن المكانة أو الجدارة، أو أنها شيء من العدالة الداخلية التي تجعلنا نشعر بالحزن على انهيار الخير وازدهار الشر[12].

كما ورد هذا المصطلح أيضاً في موضع واحد فقط من كتاب "الأخلاق النيقوماخية" يقول فيه أرسطو:

φύσει τ᾽ ἐνυπάρχειν ἔοικε πρὸς τὸ γεγεννημένον τῷ γεννήσαντι καὶ πρὸς τὸ γεννῆσαν τῷ γεννηθέντι, οὐ μόνον ἐν ἀνθρώποις ἀλλὰ καὶ ἐν ὄρνισι καὶ τοῖς πλείστοις τῶν ζῴων, καὶ τοῖς ὁμοεθνέσι πρὸς ἄλληλα, καὶ μάλιστα τοῖς ἀνθρώποις, ὅθεν τοὺς φιλανθρώπους ἐπαινοῦμεν[13].

"جدير بالذكر أن التراحم أو التعاطف بين الآباء والأبناء وبين الأبناء والآباء إنما يحدث بفعل الطبيعة، ولا يقتصر هذا الأمر على الجنس البشري وحده وإنما نجد ذلك بين الطيور

Research on Nonprofit Organization and Voluntary Action) VOL.39,Number 3,2010,pp385-408.

[10]- Pseudo-Plato Definitions, 412e; Translated by: Liddell.1961.

[11] - Aristotle, Poetics, 1452b-35 – 1453a-5.

[12] - Else, G.F.,Aristotle's poetics: The Argument. Cambridge, MA: Harvard University Press. 1963, p. 368.

[13] - Aristotle, Nichomachean Ethics, B.VIII,1155a.

والحيوانات، فأعضاء الجنس الواحد وخاصة البشر يوجد بينهم تراحم، لذلك فإننا نمتدح محبي الإنسانية."

توضح هذه الفقرة العلاقة بين مفهوم الصداقة عند أرسطو وبين مفهوم الفيلانثروبيا، فهناك ارتباط وثيق بين المفهومين يقترب إلى حد التطابق، فالصداقة هي إحساس فطري متبادل بين أبناء الفصيل الواحد كما أنها إحساس بالمحبة أو العطف الذي نجده نابع من الآباء لأبنائهم أو من الأبناء نحو آبائهم ولذلك فإنها شعور منشود بين البشر. واستخدام أرسطو هنا لمصطلح فيلانثروبيا جاء بمعنى حب الإنسانية أو الصداقة ورغم أنه لم يشر صراحة إلى أنها فضيلة إلا أن هذا المصطلح يقترب كثيراً في هذه الفقرة من معنى الفضيلة ومفهومها العام. ويؤكد على ذلك استطراد أرسطو في نفس الكتاب حينما يوضح أن الصداقة تتضمن النوايا الحسنة الطيبة تجاه الآخرين وكذلك حب الخير للآخرين، وهي صفات لا تتواجد إلا بين الأخيار من البشر[14].

فضيلة الفيلانثروبيا عند فيلون السكندري:

عرضنا فيما سبق لمفهوم مصطلح الفيلانثروبيا كما ورد في الكتابات الكلاسيكية السابقة على فيلون والتي يتضح منها أنها تناولت هذا المصطلح من عدة نواحي دينية أو سياسية أوفلسفية لكنها جميعاً لم تتناول هذا المصطلح بوصفه أحد الفضائل الأخلاقية كما فعل فيلون السكندري في تناوله لهذه الفضيلة. وفيما يلي نعرض لمفهوم هذه الفضيلة بشكل موسع معتمدين في ذلك على ما ورد لدى فيلون في كتابه "عن الفضائل" من وصف وتحليل لتلك الفضيلة ولسمات الشخص المتحلي بها، وسيكون الهدف الرئيسي من هذا التحليل هو الإجابة على التساؤل التالي: **هل تتضمن فضيلة الفيلانثروبيا عند فيلون السكندري شرحاً لبعض مفاهيم الدين اليهودي وكذلك وصايا وتعاليم موسى العشر بما يعكس منهج فيلون في وضع الفلسفة في خدمة الدين؟**

تعني فضيلة الفيلانثروبيا عند فيلون السكندري مد يد العون للمحتاجين، وهي فضيلة أقرب من حيث طبيعتها إلى مفهوم التقوى والبر[15]، ويرى فيلون أن موسى كان يتمتع بفضيلة الفيلانثروبيا وهي هبة ناتجة عن الخير الطبيعي أو الفطري[16]، والتقي وفقاً لفيلون هو الإنسان أو هو من يتمتع بالإنسانية. ويرتبط بهذه الفضيلة فضائل أخرى كالتوافق والمساواة والكرم والرحمة. ويرى فيلون أن الفيلانثروبيا تربط بين العدالة والفضائل الأخلاقية الأخرى على الرغم من أنها لا تظهر كواحدة من الفضائل الأخلاقية المعروفة. حيث يعتقد فيلون أن الفيلانثروبيا واحدة من الفضائل الرئيسية بينما العدالة هي الفضيلة الرئيسية الكبرى أو تاج الفضائل جميعاً. وإذا كانت العدالة هي الفضيلة الأخلاقية الكبرى بين جميع الفضائل كما حددها أرسطو، وطالما أن فيلون يقرن الفيلانثروبيا بالعدالة فهذا ربما يفسر مجئ فضيلة الفيلانثروبيا في المرتبة الثانية. وربما يرجع هذا التصنيف الفيلوني للفضائل إلى تأثره بتعاليم الدين اليهودي. ويعتبر فيلون أن العدالة δικαιοσύνη والرحمة ἐλεημοσύνη صفات مرتبطة بالفيلانثروبيا[17]. وهو ما يتفق

[14] - Ibid, B.VIII,1156a.
[15] - Philo, De Virtutibus, 51.
[16] - Ibid, 80.
[17]- Ronald Williamson, Jews in Hellenistic World: Vol.I.part.2:Philo, Cambridge Commentaries on Writings of the Jewish & Christian World 200BC to AD200, Cambridge University press, 1989, pp.210-211

مع قول أريستياس (القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد) بأن العدالة هي واحدة من مبدأين أرساهما إلهنا وسيدنا أما المبدأ الآخر فهو الرحمة[18]. ولذلك فإننا نلاحظ أن فيلون يقرن "حب النزعة الإنسانية" و"العدالة" "بالخير" و "كره الشر" . إن تأكيد فيلون على أهمية العدالة والإنسانية (النزعة الإنسانية) يرتبط بنقطة هامة، وهي أن "موسى يوصي بالفعل هؤلاء الذين يستخدمون تعاليمه المقدسة أن يظلوا يتحلون بفاعلية متصلة بهاتين الفضيلتين في كل فصل من فصول السنة". إن العدالة والنزعة الإنسانية تعتبران أيضاً " قطبين رئيسين" من كل التعاليم الخاصة والمذاهب ذات الصلة بالجسم والنفس. عندما يعترف فيلون أن البشر ربما يجدون أنه من الصعوبة بمكان أن تسير طبيعتنا "في محيط الهيكل الكلي الذي يضم كثيراً من الفضائل"، فإنه يقترح كبديل لذلك أننا لابد أن نكون على قناعة أينما توفر ذلك، "أن نتحلى بفضيلة بعينها، مثل الإعتدال أو الشجاعة أو العدالة أو الإنسانية". وأن تتحلى الروح بفضيلة واحدة من بين هذه الفضائل أفضل من لا شيء[19].

الفيلانثروبيا فضيلة إلهية (مقدسة):.

من المعاني الرئيسية التي يشير إليها هذا المصطلح معنى العطف والخير أو النزعة إلى التسامح والرحمة. وهناك من يرى أن فكرة القداسة التي ترتبط بالنزعة إلى الخير تجاه البشر تعتبر وجهاً ثانياً لهذا المصطلح[20] وهو ما صرح به فيلون في بداية حديثة عن هذه الفضيلة حيث وصفها بأنها مقدسة ὁσιότητα غير قابلة للبس أو الغموض وأن موسى عليه السلام هو خير مثال للشخص المتحلي بالفيلانثروبيا أو بفضيلة الإنسانية[21]، ويقترب هذا المعنى من وصف أفلاطون للإيروس في محاورة "المأدبة" بأنه " الإله الأكثر تودداً (حباً) للبشر" θεῶν φιλανθρωπότατος [22] . وبالمثل نرى فيلوستراتوس يصف إلهة الزراعة ديميتر "بأنها محبة للبشرية"[23] ἡ δὲ θεα φιλανθρωπος .

ويؤكد بلوتارخوس على الجانب الإلهي لهذه الفضيلة فيما يتعلق على وجه الخصوص باللحظات الحرجة في حياة البشر حيث يرى أن العناية الإلهية دائماً ما تحيط بالبشر وخاصة في المواقف الصعبة التي يمرون بها في الحياة كالمرض والمخاض، فالبشر على حد قوله يستفيدون بالحب الإلهي للبشرية τοῦ θεοῦ τοῦ φιλανθρωποῦ الذي يحيطهم من جميع النواحي والذي لا يُخطئهم أبداً في أي احتياجات[24].

---

[18] - Aristias , 131. Apud : Ronald Williamson, Jews in Hellenistic World: Vol.I. part.2: Philo, p.211.

[19] - مجدي كيلاني، فيلون السكندري بين الفلسفة والدين، المكتب الجامعي الحديث، 2013، ص ص 298-299.

[20]- Kevin McCruden, Solidarity Perfected: Beneficent Christology in the Epistle of the Hebrews,published by:Walter de Gruyter GmbH&Co.KG,D-10785 Berlin,2008, p.77.

[21]- Philo, Ibid, 51.

[22]- Plato, Symposium, 189c-d.

[23] - Philostratus, Epistulae,75.vol.2.apud: Kevin McCruden, Solidarity Perfected: Beneficent Christology in the Epistle of the Hebrews,p.77.

[24]- Plutarchus, Moralia, 758.vol.9.

فضلاً عن ذلك فإن بلوتارخوس يذكر عن الرواقيين أنهم ينسبون للإله صفات عديدة منها أنها خالدة وأنها مباركة وأنها محبة للبشر φιλανθρωποι وأنها حامية لهم[25]. وأن الرواقيين في إختلافهم وصراعهم ضد الإبيقوريين الذين ينكرون العناية كانوا يؤكدون على أن الآلهة نافعة ومحبة للبشر φιλανθρωποι[26].

علاقة الفيلانثروبيا بالحاكم الصالح:

قد يرى البعض غرابة في أن ترتبط فضيلة أخلاقية ودينية بالسياسة خاصة إذا كنا نتناول تلك الفضيلة عند فيلسوف مثل فيلون عمل على وضع الفلسفة في خدمة الدين في المقام الأول، لكن لاغرابة في مثل ذلك الإرتباط فمن المعروف منذ القدم أن الأخلاق والسياسة وجهان لعملة واحدة ألا وهي الإنسان، وقد يختلف فقط المسمى فالأخلاق تتناول الإنسان بشكل مجرد بين جماعة من البشر بينما السياسة تتناول المواطن الفرد داخل كيان محدد ومنظم الأركان ألا وهو الدولة. وبالطبع للأخلاق موضوعاتها ومفاهيمها التي تتعلق بالخير والشر وغيرها من المفاهيم الأخلاقية، وللسياسة كذلك موضوعاتها ومفاهيمها الخاصة لكن هذا لا ينفي وجود نقاط إلتقاء كثيرة بينهما. ولعل السؤال المهم الذي يشغل الباحث في هذا الصدد هو: **كيف يمكن أن ترتبط الفيلانثروبيا وهي تلك الفضيلة الأخلاقية الدينية التي تعتمد في تفسيرها على شرح تعاليم موسى بمفهوم الحاكم؟**

كان الملك الهللينستي قديماً يتمتع بعدة صفات تؤهله للحكم، فبخلاف كونه الراعي والحاكم والسيد فهو أيضاً لابد أن يتمتع بالعدل حتى يرسي العدالة بين الجميع، فضلاً عن ذلك فقد كان الحاكم الهللينستي هو راعي الفنون الذي يُحاط دائماً بالشعراء والفلاسفة والمؤرخين وعليه أن يكون قادراً على أن يبدي آرائه حول الفن والفلسفة والتاريخ[27]. ويذكر إيسوقراطيس (436-338ق.م) أن الفيلانثروبيا هي أحد أهم الصفات التي يجب أن يتمتع بها الملك وقد أصبح هذا المفهوم أمراً منشوداً بين اليونانيين والبرابرة[28]. لذلك نرى أن بوليبيوس (200-120 ق.م) في كتابه "التاريخ" يدين فيليب الخامس لأنه لم يكن قائداً جيداً فهو لم يتخذ من الفيلانثروبيا فضيلةً وسلوكاً في وقت الحرب[29]. وقد عبر أريستياس عن ذلك في خطابه حيث رأى أن الفيلانثروبيا هي سلوك إلهي، لذلك فإن من يتمتع بها هو إنسان يتشبه بالإله أي أن الحاكم بذلك يحاكي الإله. وهو ما يجعله في مصاف الآلهة، أو يقترب من ذلك. وفي الدين اليهودي يُستخدم هذا المصطلح فيما يتعلق بوظيفة الكاهن الأعظم، حيث يتحدد عمله وفقاً لثلاث مبادئ رئيسية هي: الكتاب المقدس أي التوراة، وخدمة المعبد وكذلك الفيلانثروبيا وهي العناصر الثلاثة التي يتحدد وفقاً لها اختيار الكاهن الأعظم. فالكاهن الأعظم الذي يقود الخدمة في المعبد مقيد بتعاليم التوراة وقوانينها ولكنه إذا ما كان يرغب في أكثر من ذلك أي أن يكون حاكماً ناجحاً بين رعيته ومعروف بين

[25] - Idem, De communibus notitiis adversus stoicos,1075e; Moralia, vol.13.
[26]- Idem, De Stoicorum Repugnantiis 1051f; Moralia, vol.13.
[27] - Smuel Rocca, Herod's Judaea: A Mediterranean State in the Classical World, Wipf&Stock pub.,2015, p.38.
[28]- Isocrates, Nicocles, 15.
[29] - Polybius, Historiae, V.

أتباعه فإنه لابد أن يكرث نفسه لكي يكون محباً لأتباعه [30]ὁ φιλάνθρωπος. وبالنسبة للفلاسفة القدامى فإن الفيلانثروبيا هي سلوك اختياري يفوق الواجبات القانونية، إنها نوع من الرحمة أو العطف أو المحبة وهي من سمات الآلهة.

وهناك بعض الدراسات التي قامت بتتبع مصطلح الفيلانثروبيا منذ بداية ظهوره وحتى عصر شيشرون ووفقاً لإحدى هذه الدراسات فإن المفهوم الأول لهذا المصطلح إنما يقترن بالإله وبالحاكم[31]، وهناك دراسات أخرى تؤكد على اقتران مفهوم الفيلانثروبيا بالحاكم الهللينستي وهو ما ساعد فيلون في جعل فكرة خوف البشر من الإله مقبولة داخل المجتمع اليوناني. حيث جعل موسى بوصفه ملكاً هللينستياً نموذجاً للإنسان المتحلي بفضيلة الفيلانثروبيا[32]. وفي مؤلفه "البعثة إلى جايوس" يصف فيلون التحول في سلوك الإمبراطور جايوس كاليجولا حيث أصبح لاإنسانياً تجاه الأصدقاء والعائلة في بلاطه[33]. ويبدو أن اقتران مفهوم الفيلانثروبيا بالحاكم في العصر الهللينستي كان أمراً شائعاً، فقد تساءل بطليموس فيلاديلفوس (285-247ق.م) بحسب ما جاء في خطاب أريستياس عن الوسيلة التي من خلالها يمكن أن يصبح الحاكم أو الملك محباً للإنسانية φιλανθρωπος وكان الرد على ذلك: "من خلال الرحمة ἔλεος لأن الإله ذاته رحيم ἐλεήμων"[34]، واتخاذ الحاكم للرحمة كسلوك بين الرعية إنما هو محاكاة لرحمة الإله بالبشر، يقول أريستياس: " وطالما أن الإله هو المحسن εὐεργέτης للعالم بأسره فإنه يتعين عليك طالما أنك تحاكي الإله أن تتجنب الظلم[35]. ووفقاً لفيلون فإن موسى بوصفه الحاكم أو الراعي هو النموذج الأفضل للحاكم الإله، لأن موسى النبي الحكيم يعيش وفقاً للمبدأ الرواقي في اللامبالاة بالألم ἀπάθεια لذلك فإن الحاكم أو الملك الإله عليه أن يكون قادراً على حكم نفسه وانفعالاته أولاً ثم حكم الآخرين، فالتحكم في إنفعالات النفس البشرية هو أول خطوات بلوغ الحكمة والكمال وهو من أعمال الطاعة والتقوى تجاه الإله وبذلك يصبح الحاكم هو نموذجاً حياً للنفس التي تكبح زمام إنفعالاتها. وقد أكد فيلون ذلك في مواضع عديدة من مؤلفاته حيث يشير إلى درجات ثلاث من الحب التي يتعين على كل حاكم الإلتزام بها وهي حب الإله φιλόθεος وحب الفضيلة φιλάρετος وحب البشر φιλάνθρωπος، أما حب الإله فيُنشد من خلال الإلتزام بتعاليم الدين والإخلاص لها والإلتزام بالقسم والإيمان بأن الإله هو مصدر الخير وليس الشر:

τοῦ μὲν οὖν φιλοθέου δείγματα παρέχονται μυρία· τὴν παρ’ ὅλον τὸν βίον συνεχῆ καὶ ἐπάλληλον ἀγνείαν, τὸ ἀνώμοτον, τὸ ἀψευδές, τὸ πάντων μὲν ἀγαθῶν αἴτιον, κακοῦ δὲ μηδενὸς νομίζειν εἶναι τὸ θεῖον ·

أما حب الفضيلة فيُنشد من خلال التحرر من شهوة المال والشهرة واللذة وكذلك من خلال السيطرة على النفس وقوة التحمل وبساطة العيش والرضا والتواضع واحترام القانون:

---

[30]- Aisteas, Letter, 190-192.
[31] - Siegfried Lorenz, De Progressu Notionis Philanthropia, Ph.D.Dissertation, Leipzig, 1914,
[32]- Milo Van Veldhuizen, Moses: A Model of Hellenistic Philanthropia,p222.
[33] - Philo, Legatio ad Gaium, X.67.
[34] - Aristeas, Ibid, 208.
[35]- Ibid, 210.

τοῦ δὲ φιλαρέτου τὸ ἀφιλοχρήματον, τὸ ἀφιλόδοξον, τὸ ἀφιλήδονον, τὸ ἐγκρατές, τὸ καρτερικόν, ἔτι δὲ ὀλιγοδεΐαν, ἀφέλειαν, εὐκολίαν, τὸ ἄτυφον, τὸ νόμιμον, τὸ εὐσταθές, καὶ ὅσα τούτοις ὁμοιότροπα·

أما عن حب البشر فيُنشد من خلال النزعة إلى الخير والمساواة والإخاء:

τοῦ δὲ φιλανθρώπου εὔνοιαν, ἰσότητα, τὴν παντὸς λόγου κρείττονα κοινωνίαν,[36]

ويستطرد فيلون في توضيح هذه الفكرة معتمداً على آيات من سفر التكوين يقول فيها يعقوب: "إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلهاً" { سفرالتكوين:الإصحاح 28 الآيات20-21-22} ويفسر فيلون هذه الآيات على النحو التالي:

" إنه يجب (على الحاكم) ألا يمارس نحوي تلك السيادة التي تميز حكم الملك الواحد αὐτόκρατος ولكن عليه أن يتحلى بالإحسان εὐεργετικός الذي يمثل القوة القائمة على العطف وتحقيق الخير للبشر. وعليه أن يتخلص من الخوف الذي نشعر به أمامه بوصفه السيد (الحاكم) δεσπότης ، وأن يزرع في النفوس النية الحسنة εὔνοια والمودة φιλία تجاهه بوصفه المحسن εὐεργέτης .... إنها حالة من بهجة النفس والتحرر من الخطر أن نضع ثقتنا في ملك لا تدفعه سلطاته المطلقة إلى إلحاق الأذى برعاياه ولكن حبه للبشر φιλανθρωπία يجعل قضاءه لحوائج رعيته أمراً باعثاً على السعادة."[37]

إذن فالحاكم على هذا النحو هو مبعوث الإله لحكم رفاقه من البشر، فهو غير مستبد بسلطاته يتودد إلى رعاياه بالإحسان وفعل الخير وهو ما يعود عليه بالولاء والمحبة، وليس بالأمر الهين أن يتحلى الحاكم بتلك الصفات فالنفس البشرية يخالطها من الأهواء والأطماع الكثير لذلك كان اختيار الحاكم إختياراً إلهياً، فالإله وحده هو الذي يعلم الغيب ويعلم كذلك مافي النفوس والعقول وهو القادر على اصطفاء أفضل وأنسب البشر من أجل تلك المهمة ليكون بمثابة الأب الذي سيعتني بالبشر والذي سينشر الخير ابتغاء مرضاة الإله. لذلك نرى فيلون في مطلع حديثه عن الفيلانثروبيا يوضح أن موسى لم يثق في معرفته الخاصة وأنه تفرغ للإله الذي يعلم الغيب وحده[38]، يقول موسى: " ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم، لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها "{ سفر العدد: الإصحاح 27 الأيات: 16-17}.

ويتحدث موسى عن الرحلة الآمنة الناجحة التي تتطلب الربان κυβερνήτης والقائد ἡγεμών الصالح ἀγαθός الحكيم πάνσοφος فهناك ضرورة أن يكون الحاكم حكيماً لأنه وحده الذي سيضمن الأمان لدولته ورعيته، فالحكمة أقدم من البشر ومن الوجود بأسره ولا يمكن أن يحددها إلا الإله وحده وليس البشر، وهؤلاء الذين يحبون الحكمة ويتمتعون بها هم الأنسب

[36] - Philo, Quod Omnis Probus Liber Sit, 83-84.
[37] - Idem, De Plantatione, 90-92.
[38] - Idem, De Virtutibus, 57.

للحكم[39]. وتعكس فكرة فيلون عن الحاكم الذي يشبهه بربان السفينة ملامح تأثره بالفكر الأفلاطوني حيث تبنى أفلاطون في محاورة "رجل الدولة" فكرة ضرورة أن يتشبه الحاكم بربان السفينة حيث يشتمل هذا الوصف على المعنى الحقيقي للإنقاذ[40]، ذلك المفهوم الذي يلعب دوراً هاماً فى تعريف حرفة السياسة. فطالما كان رجال السياسة ملتزمين بالإدارة العادلة التى تكفل تحقيق المنافع لصالح الرعية عن طريق قيادة حكيمة وواعية لدولة المدينة فإنهم سوف ينجحون فى إنقاذ σωξειν رعيتهم[41]. ولم يكن هذا الأثر الأفلاطوني هو الوحيد في فلسفة فيلون فقد كان فيلون يحاول دائماً المزج بين الفلسفة اليونانية العلمية أو العقلية وبين الكتاب اليهودي المقدس وذلك بالعمل على مستويين وهما الإحتفاظ بالتقليد الديني اليهودي والتأمل الفلسفي على الطريقة اليونانية[42].

ولأن حكم البشر أمر بالغ الأهمية فقد علم موسى أن اختيار الحاكم لا يتم كيفما اتفق بين الناس، فليس لأي إنسان أن يتولى الحكم لمجرد أنه يتمتع ببعض السمات التي تؤهله لذلك فالأمر ليس بهذه البساطة فهو اصطفاء من الإله لمن يراه الأصلح لهذه المهمة، ويقول موسى- كما ورد عند فيلون- أنه هو ذاته لم يتولى تلك المهمة من تلقاء نفسه أو لأن أحداً من البشر إختاره لذلك، بل إن الإله أعلن مشيئته بنبوءات واضحة وصريحة وأمره بتولى حكم البشر:

άλλά και του θεού χρησμοΐς εναργεσι και λογίοις άριδήλοις εμφανώς θεσπίζοντος και προστάττοντος άρχειν άνεδυόμην Ικετεύων και ποτνιώμενος,

وعلى الرغم من أن موسى كان يخشي هذه المهمة العظيمة ولا يريد أن يتولاها إلا أنه استجاب لأمر الإله خوفاً وطمعاً δείσας έπειθάρχησα[43].

هكذا يبرهن فيلون على أن موسى مثال للشخص المتحلي بفضيلة الفيلانثروبيا فهو الحاكم الذي اصطفاه الإله لحكم البشر لأنه يتمتع بالحكمة والرحمة والإحسان وهي الصفات الحقيقية التي يجب أن تتوفر في الحاكم وهو في الوقت ذاته يعلم أهمية وعظمة هذا الدور بين الناس. ومن الأدلة الأخرى التي يسوقها فيلون ليبرهن على أن موسى هو النموذج الأمثل للشخص المتحلي بفضيلة الفيلانثروبيا أو الإنسانية وذلك حينما اختار يشوع[44] Joshua وهو أفضل تلاميذه واتباعه وأكثرهم محاكاةً لصفات معلمه وسيده موسى، يصف فيلون يشوع بأنه شخص عرفه موسى منذ كان يشوع صبياً وقد تربى ونشأ في منزل موسى وكان يقوم بخدمة موسى إذا استدعى الأمر ذلك، وقد أحب كلاهما الآخر لأنهما كانا يحبان الفضيلة، ويقول فيلون أنه عندما أتى الوقت الذي كان على موسى فيه أن يختار من يخلفه فإنه لم يقم بإختيار يشوع على الفور لأنه كان يخشى أن

---

[39] - Ibid, 61-62

[40]- Plato, Statesman, 302a-302b.

[41] - مجدي كيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون –دراسة مصدرية-، المكتب الجامعي الحديث،2009، ص 349.

[42] - نفس المؤلف، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، المكتب الجامعي الحديث، 2009، ص464.

[43]- Philo, Ibid, 63.

[44] - يشوع أو يوشع بن نون، يُقال أنه نبي من أنبياءئ الله وقد ورد ذكره في العهد القديم، ويُعتقد أنه عاش إما في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد وكان قائد بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام. (من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الأول، مكتبة المعارف-بيروت،1990 ص ص 319-324.

يكون حبه ليشوع سبباً في اختياره وليس لأنه الأصلح لحكم رعيته، ولكن لحسن الحظ كان يشوع هو اختيار الإله،[45] وعلى الرغم من حزن موسى بأن يشوع ليس إبنه إلا أنه كان في غاية السعادة لكونه مثالاً للحاكم الصالح الذي يرضي الإله لأنه فاضل وتقي لذلك فقد أخذه موسى وخرج به إلى جموع الناس دون النظر إلى أن هذا الأمر إنما يُعد نذيراً بموته، لقد شعر موسى بدافع آخر للسعادة يتمثل في الأمل بأنه سيصبح خالداً وسيترك عالم الحياة الفاسدة أو الفانية وينتقل إلى الحياة الحقيقية غير الفانية:

αλλά και δια την ελπίδα του μελλειν ἀθανατιζεσθαι μεταβαλών εκ φθαρτού βίου εις άφθαρτον[46]

ثم نظر موسى إلى من حوله قائلاً: " لقد حان الوقت بالنسبة ليّ الآن أن أتحرر من حياة الجسد τής εν σώματι ζωής، وخليفتي في حكم أمتكم هو ذلك الرجل الذي اختاره الإله"[47]

ثم أكد موسى ذلك بالنبوءة التي تلقاها من الإله بأن هذا الشخص أي يشوع هو من سيخلفه في حكم تلك الأمة فصدقه الناس. وقد أوصى موسى يشوع بأن يكون راعياً فاضلاً وشجاعاً وحكيماً وعليه أن يقوم بتفسير تعاليمه على الدوام وأن يسير على خطى سيده ومعلمه موسى[48]. وجدير بالذكر أن هناك بعض الدراسات التي تري أن فيلون لم يكن مهتماً بالحديث عن شخصية يشوع[49] ووفقاً لبعض هذه الدراسات لم يكن هذا بالأمر الباعث على الدهشة فالسبب يرجع إلى أن فيلون كان يشرح ويعلق على التوراة فقط والتي يظهر فيها دور يشوع محدود[50]، وهناك من يرى أن فيلون ركز على تقدير موسى وإبراز دوره وأغفل الحديث عن دور يشوع لأن أي إطراء على شخصيته بمثابة تهديد لدور موسى[51].

هكذا إرتبط مفهوم الفيلانثروبيا أو حب البشر إرتباطاً وثيقاً بالحاكم الصالح، بل إن الفيلانثروبيا هي التي تجعل من الحاكم إلهاً أو شبيهاً بالإله بين البشر، فالرحمة التي يضطلع بها الإله نحو البشر وسائر المخلوقات هي إنعكاس لمحبة الإله لمخلوقاته، والحاكم الصالح حينما يحاكي الإله يكون ذلك من خلال اسباغ رعايته ومحبته على رعيته، وحينما تحدث فيلون عن موسى بوصفه مثالاً للحاكم والراعي الصالح فقد جعله أيضاً نموذجاً للإنسان الذي يتحلى بفضيلة الفيلانثروبيا أو حب الإنسانية، والربط على هذا النحو بين الحكم وحب البشر يجعل من الفيلانثروبيا أو الإنسانية شريعة بين الناس وخاصة الحكام مما يجعلهم يتغلبون على أهواء النفس

---

[45] - Philo, Ibid, 55-56.
[46]- Ibid, 67.
[47] - Ibid, 68.
[48] - Ibid, 69.
[49] - Erwin R. Goodenough, By Light, Light: The Mystic Gospel of Hellenistic Judaism, New Haven: Yale University Press.1935. apud: Zev Farber, Images of Joshua in the Bible and Their Reception, p.154.
[50] - Zev Farber, Images of Joshua in the Bible and Their Reception, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2016, p.154.
[51] - Louis H. Felman, "Philo's Interpretation Of Joshua" JSP12.2(2001):165-168.apud: Zev Farber, Images of Joshua in the Bible and Their Reception, p.154.

وشرورها فلا مجال إذن للظلم أو لإيثار الذات أو لبلوغ مآرب خاصة تتعارض مع خير الرعية والمواطنين.

فضيلة الفيلانثروبيا تنهى عن الربا:

بدأ فيلون حديثه عن فضيلة الفيلانثروبيا بإثبات أن موسى كان يتحلى بأعلى درجات الإنسانية والشعور بالأخرين من خلال "ما وهبه الله من حب وميل شديد إلى الخير الطبيعي"[52] . والتقي في مذهب فيلون الأخلاقي هو من يتحلى بأعلى قدر ممكن من الإنسانية. وعند فيلون الدين المعاملة، فالإيمان بالله وتقديسه ومعاملة الناس بالحسنى إنما يسيران جنباً إلى جنب. وإن معيار الإنسانية إنما يتحدد بما تضمه من فضائل مقرونة بها مثل: التوافق، المساواة، النعمة والرحمة. وبالمثل، فإن النزوع الشديد نحو الإنسانية φιλανθρωπία هو نفسه الذي يصل فضائل متنوعة أخرى بفضيلة العدالة، بالرغم من أن الإنسانية φιλανθρωπία كفضيلة لا تبدو لكثيرين من بين هذه الفضائل أو بمعنى أدق لا يلتفت الآخرون إلى أن الإنسانية يمكن أن توضع على رأس الفضائل مثلما يفعل فيلون[53].

ثم ينتقل فيلون في الفقرات التالية للحديث عن تعاليم موسى التي أوصى بها الأجيال القادمة والتي يتبين من خلالها أن تعاليم موسى لم تتناول فقط الجنس البشري والمعاملات بين البشر بعضهم ببعض وإنما امتدت أيضاً لتشمل الحيوانات والنباتات وعلى الرغم من أن سلوك الإنسان تجاه الحيوانات والنباتات يندرج تحت الأعتدال أو الرحمة وليس حب البشر (كما هو مفهوم من معنى الفيلانثروبيا) لكن الهدف من ذلك أن سلوك الإنسان مع فصائل مختلفة ربما يعزز كيفية ممارسة الفيلانثروبيا مع البشر[54].

يستهل فيلون سرد تعاليم موسى التي تنظم العلاقات بين البشر بآية موسى عن الربا والتي وردت في سفر التثنية " لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء ما مما يقرض بربا" { سفر التثنية: الإصحاح 23، الآية 19}. وهو أمر صريح ورد في أكثر من موضع في كافة أسفار العهد القديم[55]، ويفسر فيلون ذلك بأنه ليس من العدالة أن تطلب نسلاً من المال τόκους έπι χρήμασιν ού δίκαιων εκλέγειν [56] ، ولكن هذا لا يعني عدم تقديم العون للمحتاجين بل إن موسى دعا إلى عدم استغلال حاجات بعض البشر للأخذ بالربا، فعلى القادرين أن يمدوا يد العون لهؤلاء المحتاجين بسعادة وفرح دون توقع استرداد ما قدموه، حتى لا يصبح الفقراء πένητες أكثر فقراً وبؤساً على هذا النحو. أما المقرضين فليس بظلم لهم أن يتلقوا ما قاموا بإقراضه دون زيادة لأنهم سيجنون ثماراً أفضل ألا وهي "ثمار الفضل والتميز بين سائر البشر" τά κάλλιστα και τιμιώτατα τών εν άνθρώποις، كذلك يصف فيلون هؤلاء

---

[52] - Philo, Ibid, 80.

[53] - مجدي كيلاني، فيلون السكندري بين الفلسفة والدين، ص300.

[54] - Peder Borgen, Philo of Alexandria: An Exegete For His Time, Brill Leiden New York Koln,1997,p.295.

[55] - سفر الخروج الإصحاح 22 الآية 25:" إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي. لاتضعوا عليه ربا"؛ وأيضاً سفر اللاويين (الأحبار) الإصحاح25 الآيات 36-37:"لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش الهك فيعيش اخوك معك. فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة".

[56]- Philo, Ibid, 82.

الأشخاص بأنهم الأكثر عطفاً والأكثر خيراً والأكثر سمواً أخلاقياً وأنهم سوف يكتسبون سمعة فاضلة وحسنة بين البشر[57]. وهناك من فسر الربا بأنه أشبه بلدغة أو عضة الثعبان التي تبث السم في جسم الفريسة فينتشر هذا السم ليصل إلى الأعضاء الحية ويوقفها تماماً هكذا يكون الربا الذي يكون شيئاً صغيراً في البداية ثم يأخذ فالإنتشار والتضخم ويلتهم الضحية[58]. ويرى فيلون أنه يتعين علينا أن ننظر إلى من يجنون ثروات من الربا على أنهم فقراء، فالكرم ثروة بحسب قول القديس بولس، فالثراء الذي يفتقر إلى الفضيلة لا يُعد ثراءًا، أما الثراء القائم على الفضيلة فهو عين الخير والإحسان وهؤلاء الذين يحيون وفقاً لقوانين موسى وتعاليمه عليهم أن يتجنبوا الربا بكل أشكاله[59].

ويصف فيلون من يقرضون دون ربا بأنهم يتفوقون على الملوك وسلطانهم بل إن الملوك أنفسهم فقراء لا حيلة لهم إذا ما وُضعوا في مقارنة مع هؤلاء المحسنين، وعلى الرغم من أن الملوك يملكون ثروات مادية إلا أن هذه الثروات ستؤول في نهاية الأمر إلى الثرى وقد وصف فيلون هذه الثروة بالثروة الجامدة ὁ πλούτος ἄψυχος، أما الفضيلة فهي ثروة باقية عالياً في الجزء الأكثر هيمنة في النفس ἀρετής δ' εν ψυχής τω ήγεμονικώ، وفي أعلى أجزاء الكون ألا وهي السماء تلك الفضيلة التي تنبع من الإله نفسه، أما من يتاجرون بالأموال فهم في الحقيقة فقراء يسعون نحو الإفراط في الأذى μοχθηρίας ὑπερβολή، لدرجة أنهم إن لم يجدوا مالاً ليقوموا بإقراضه فإنهم يستخدمون أي شيء حتى الطعام شريطة أن يستردوه مضاعفاً، وهم بذلك يعدون للمجاعة والفقر، وقد وصف فيلون هؤلاء الأشخاص بأنهم يميلون نحو الإستعباد δουλοπρεπής، وعدم الحرية ἀνελεύθερος، وهو ما يتحول مع مرور الوقت إلى الهمجية والوحشة ἀγριότης θηρίων[60]. إن فضيلة العطاء هي منحة الله لكافة مخلوقاته فالشمس تعطي من ضوئها ونورها للقمر، إنها أدلة صريحة للبشر لتعلمهم العطف والإنسانية διδασκαλία χρηστότητος καί φιλανθρωπίας[61].

كذلك يوضح فيلون في كتابه "عن القوانين الخاصة" أن القانون يقضي بإسقاط الدين عن الفقير في العام السابع من إقتراضه وذلك لمساعدته وإعطاء الفرصة للغني لكي يبلغ الفيلانثروبيا χρεωκοπία τούς πλουσίους ἐπί φιλανθρωπίαν προκαλούμενος[62]. وهذا ما يتفق مع تعاليم الكتاب المقدس[63]. ويقتبس فيلون آية أخرى من آيات الكتاب المقدس التي تنظم العلاقة بين الدائن والمدين حيث يقول على لسان موسى لا يجوز لأي شخص من المقرضين بالربا δανειστής χρεωστών أن يدخل منزل من قام بإقراضهم حتى يأخذ بالقوة μετά βίας أي ضمان أو تعهد ενέχυρόν τι και ρύσιον مقابل الدين τω δανείω، لكن

---

[57] - Ibid, 84.

[58]- Calvin Elliott, Usury, library of Alexandria, 2016.

[59]- Orrey McFarland, God and Grace in Philo and Paul, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherland, 2016, p.216.

[60] - Philo, Ibid, 85-86-87.

[61]- Idem, De Specialibus Legibus, II.141.

[62] - Ibid, II.71-78.

[63] - "اذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا" { سفر الخروج: الإصحاح 21 الآية2}، "اذا بيع لك اخوك العبراني او اختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حرا من عندك" { سفر التثنية: الإصحاح15 الآية12}.

دعه يقف في الخارج وينتظر بهدوء حتى يحضر له المقترض تعهداً دون تهرب، لأنه من الملائم ألا يقوم المقرض بأي سلوك متغطرس ὕβρις وفقاً لسلطاته، كما أنه لا يتعين على المقترض في الوقت ذاته أن يعطي الضمانات الكافية في المقابل عندما يقوم بالإقتراض من ممتلكات شخص آخر [64].

وجدير بالذكر أن آيات الربا كما وردت في الكتاب المقدس تميز بين العبراني أو اليهودي وغير العبراني أو غير اليهودي، وهو تمييز معروف منذ قديم الأزل بين العبرانيين وغير العبرانيين، حيث يُشار إليهم في الكتاب المقدس بكلمة "شعبي" إشارة إلى أنهم شعب الله، وكذلك بنو إسرائيل، فقد صُرح بالربا للأجنبي وليس لليهودي، ولكن هذا التمييز الصريح لم يرد بشكل صريح في حديث فيلون عن الربا، وربما يكون هدف فيلون من ذلك كما تقول بعض الدراسات هو هدف دفاعي حيث يدافع فيلون عن اليهود ضد تهمة معاداتهم للإنسانية[65].

الفيلانثروبيا وحق العامل والأجير:

يشير فيلون إلى جانب آخر من جوانب فضيلة الفيلانثروبيا يحث على ضرورة دفع أجر العامل الفقير على وجه الخصوص، حيث يقول بأنه يتعين على كل صاحب عمل أو كل سيد أن يدفع أجر العامل الذي أدى عمله في نفس اليوم دون تأخير:

μισθόν πένητος αυθημερόν άποδιδόναι[66],

ليس فقط لأنه حق نظير ما قام به من مهام وهو أشبه بالمكافأة لأنه أدى عمله دون تأخير وإنما أيضاً لأن هذا العامل الفقير الذي يجمع قوته بشكل يومي يضع كل آماله على هذا الأجر البسيط الذي يقيم احتياجاته، وفي هذا بعد ديني ونفسي هام فمن ناحية دينية سداد هذا الأجر هو سداد لحق وواجب مفروض وتأخيره أو منعه يستتبع بالضرورة آفات إجتماعية خطيرة كالسرقة أو القتل أو التعدى على الآخرين، ومن ناحية نفسية فإن تلقي الأجير لأجره هو باعث للفرح والسرور يجعله قادراً ومستعداً لعمل الغد بسعادة.

فضيلة الفيلانثروبيا وكفالة الفقراء والمحتاجين:

ومن الوصايا والتعاليم التي يشير إليها فيلون في حديثه عن فضيلة الفيلانثروبيا تلك التي تتناول الآداب المتعلقة بحصاد وجمع الثمار، حيث أمر موسى بأنه أثناء الحصاد ἄμητος يتعين على المزارعين ألا يقوموا بجمع الثمار التي تسقط من الغصون τά ἀποπίπτοντα، وألا يقوموا بقطع كل المحصول πάντα τον σπόρον، ولكن عليهم أن يتركوا جزءًا منه دون جمع وبذلك فإنهم يجعلون الأغنياء يتبرعون بجزء من ثروتهم الخاصة للفقراء، وهو أمر فيه إلزام لكفالة هؤلاء الفقراء طالما أنهم لا يملكون شيئاً من تلك المحاصيل، ويوضح فيلون أن هذا الأمر إنما يساعدهم على التخلص من شغف حب الثروات وكنز المحاصيل، فهؤلاء الأثرياء سيسمحون للفقراء بالذهاب إلى حقولهم ويقومون بحصاد ذلك الجزء من المحصول كما لو كان ملكاً لهم. إن تعاليم موسى فيما يتعلق بالحصاد وحق الفقراء والمحتاجين في المحصول يشبه حرص الأب

---

[64] - Philo, De Virtutibus, XVI, 89.
[65]- Peder Borgen, Ibid, p.296.
[66] - Ibid, XV.88.

على خلق حالة من العدالة أو التوازن بين جميع أبنائه حينما يكون بعضهم يعيش في وفرة ورخاء والبعض الآخر يعاني من الفقر المدقع، ولأن هذا الأب يشعر بالحزن والشفقة عليهم فإنه يدعو إلى مشاركتهم في جزء من أموال إخوانهم كما لو كان ملكاً لهم. أما من يطمعون في جني المزيد من الثروات دون النظر إلى مصدرها ودون النظر أيضاً إلى حق هؤلاء الفقراء فيها فقد وصفهم فيلون بأصحاب النفوس الوضيعة μικροψυχία ممن يميلون إلى الذل δουλοπρεπής، والإستعباد ἀνελεύθερος [67].

وحينما يضع فيلون تلك الضوابط التي تؤسس للعلاقة التكافلية بين الغني والفقير فإنه بذلك إنما يدعو إلى تدريب النفس على الزهذ في الربح غير العادل κέρδος ἄδικος ، وعلى هذا النحو يؤسس فيلون للعلاقة بين علم النفس الأخلاقي وضبط الرغبات ἐπιθυμία[68]، خاصة فيما يتعلق بزراعة أكثر من محصول في قطعة واحدة من الأرض وهو ما نهى عنه موسى في تعاليمه[69]،فهذا يُعد جشعاً فاضحاً φιλοχρηματίας ὑπερβαλλούσης ἔργον ἐστιν[70].

ويتحدث فيلون عن سبب آخر يحتم هذا النوع من التكافل الجبري ألا وهو قانون الطبيعة ἡ φύσις، حيث يقول بأن الطبيعة سخرت من الأسباب ما يساهم في نمو وإزدهار الأرض مثل الأمطار الموسمية والحرارة الملائمة والبذور المناسبة وغيرها، وعلى الرغم من أن هؤلاء الأغنياء يدركون ما تغدق به الطبيعة عليهم إلا أنهم يسعون بإستمرار إلى الإستيلاء على كل خيراتها لأنفسهم فقط دون النظر إلى إحتياجات الآخرين وهم على هذا النحو إنما يفتقرون إلى الإنسانية الحقيقية الكاملة μισανθρωπία كما أنهم يفتقرون إلى التقوى ἀσέβεια[71]. وقد أشار فيلون إلى دور الطبيعة في موسمية المحاصيل التي يتم زراعتها وحصادها وفقاً لظروف مناخية معينة في مواضع عديدة أخرى بخلاف كتابه "عن الفضائل" ومنها على سبيل المثال في كتابه بعنوان"عن القوانين الخاصة" حيث يسرد فيلون شرحاً مفصلاً حول خطورة زراعة محصولين في قطعة أرض واحدة بهدف الكسب السريع ويشير فيلون في هذا الصدد إلى قانون الطبيعة بأكثر من مصطلح منها ἡ φύσεως προθεσμία وكذلك τά φύσεως νόμιμα وأيضاً τής φύσεως θεσμούς[72].

إن الإحساس بالآخر على النحو السابق يفسر وجهاً من وجوه فضيلة الفيلانثروبيا ويؤكد على الطابع الديني الأخلاقي لها لذلك كانت تعاليم موسى هي الأقرب والأكثر تعبيراً عن ماهية تلك الفضيلة.

---

[67] - Ibid, 90-91;93.

[68] - Hans Svebakken, Philo Of Alexandria's Exposition of The Tenth Commandments, The Society of Biblical Literature, Atlanta, 2012, p.175.

[69] - "لا تزرع حقلك صنفين ، لئلا يتقدس الملء: الزرع الذي تزرع ومحصول الحقل" {سفر التثنية، الإصحاح22 الآية 9}.

[70]- Philo, De Specialibus Legibus, IV,212.

[71] - Idem, De Virtutibus, XVII,94.

[72] - Idem, De Spcialibus Legibus, Iv, 208;212;215.

آداب التعامل مع رجال الدين:

واستكمالاً لجوانب فضيلة الفيلانثروبيا التي تحدد أخلاقيات التعامل مع البشر وفقاً للشريعة والدين يتحدث فيلون عن الأخلاقيات والآداب الواجب اتباعها تجاه الإله وتجاه رجال الدين. حيث يقول فيلون بأنه يتعين على أي شخص أن يقدم للكهنة أولاً الثمار والفواكهة والنبيذ والزيت فضلاً عن نصيب من الحيوانات المنزلية والأصواف، وذلك بخلاف ما يجب أن يقدموه من تلك الأشياء على سبيل الأضحية للإله. بشرط أن يتم تقديم بشائر تلك المحاصيل وأول ثمارها ولا يقتصر الأمر على المحاصيل فقط بل يتم اتباع الشرط ذاته فيما يتعلق بالحيوانات التي تقدم كأضحية للإله حيث يقدم أول نسل تلك الحيوانات للإله[73]. إن الأخلاقيات التي يجب أن يتمتع بها الإنسان في التأدب والسلوك الحسن تجاه الإله أولاً ثم رجال الدين بعد ذلك تفسر هي الأخرى جانباً من جوانب فضيلة الفيلانثروبيا كما يراها فيلون فهو يرصد كافة جوانب تلك الفضيلة في شتى النواحي.

الفيلانثروبيا تدعو إلى الإحسان إلى الغرباء والأعداء والأسرى:

تدعو تعاليم موسى كما جاء في كتاب فيلون "عن الفضائل" إلى حب الغرباء ليس بوصفهم أصدقاءًا أو حتى أقرباءًا بل لأنه يجب على الإنسان أن يحب ذلك الإنسان الغريب كما لو كان يحب نفسه قلباً وقالباً:

κελεύει δή τοΐς άπό τοΰ έθνους αγαπάν τούς έπηλύτας, μή μόνον ώς φίλους και συγγενείς άλλά και ώς εαυτούς, κατά τε σώμακαι ψυχήν,[74]

ويفسر فيلون ذلك بأن هؤلاء الغرباء قد هجروا أقربائهم وأوطانهم وعاداتهم ومعابدهم وهجروا منازلهم مع الهجرة المقدسة τιμάς άπολελοιπότας، سعياً نحو اليقين ένάργεια والحقيقة αληθεία وعبادة الإله الواحد الخالد καϊ τον σεβασμόν τοΰ ενός καϊ όντως οντος θεού[75]. ويؤكد فيلون على تعاليم موسى التي تدعو إلى الإهتمام بالغرباء ورعايتهم حيث يتعين تقديم كل الخير إليهم سواءًا المادي أو المعنوي κατά τε σώμακαι ψυχήν ، ومراعاة مشاعرهم διάνοια، والتعاطف معهم κοινοπραγοΰντας، في أحزانهم τά αυτά χαίροντας وكأنهم هم وهؤلاء الغرباء شخص واحد يعيش في λυπουμένουςوأفراحهم جسدين منفصلين εν εΐναι ζώον δοκεΐν ,εν διαιρετοΐς μέρεσιν ώς . وهو ما يترتب عليه كفالة هؤلاء الغرباء وتوفير كافة احتياجاتهم المادية والحياتية والتي تندرج تحت قانون الخير العام o νόμος παρά τών αυτοχθόνων. وهو ما يعتبر مكافأة كافية ومناسبة لهؤلاء الأشخاص الذيم لم يتمكنوا من العيش في أوطانهم ولم يتمتعوا بخيرات أراضيهم. وفي مقابل ذلك فإنه يتعين على هؤلاء الغرباء أن يضمروا الخير والنوايا الطيبة لهؤلاء الأشخاص الذين مدوا يد العون إليهم واحتضنوهم في أوطانهم[76].

---

[73] - Idem, De Virtutibus, XVIII,95.
[74] - Ibid, XX,102.
[75] - Ibid, XX, 102-103.
[76] - Ibid, XXI,105-106.

وفيما يتعلق بالإحسان إلى الأعداء يقول فيلون في هذا الصدد بأنه يجب احترام الأعداء حتى وإن كانوا يشنون الحرب علي المدينة بكامل عتادهم وأنهم لا يجب أن يُطلق عليهم أعداءًا حتى يقوم المواطنون بإرسال الرسل إليهم لدعوتهم للسلام εἰρήνη، فإذا استجابوا فقد أحرزوا نعمة عظيمة τo μεγιστον αγαθόν εύροιεν ألا وهي الصداقة φιλία ، أما إذا أعرضوا عن السلام فقد أحرز المواطنون بذلك منفعةً أخرى ألا وهي التصدي لهم وتحقيق رغبتهم وأملهم في إحراز النصر. لقد وصف فيلون هذه التعاليم فيما يتعلق بالأعداء μέτοικοι بأنها قوانين الرحمة المليئة بالعطف والإنسانية تجاه الأعداء χρηστά δ' έτερα και μεστά ήμερότητος υπέρ πολεμίων[77].

وقد تناولت تعاليم موسى كما وردت في تفسير فيلون لفضيلة الفيلانثروبيا أيضاً الأسرى من النساء وكيفية التعامل معهن بالإحسان والعطف وعدم النظر إليهم كمصدر للشهوات εις ἐπιθυμίαν ἔλθης أو كأسيرات ὡς αἰχμαλώτω بل تحث تعاليم موسى على ضرورة تغيير حالتهن للأفضل وتركهن وقتاً كافياً دون إزعاج للحزن على آبائهن وأمهاتهن وذويهن πενθήσαι και ἀποδακρϋσαι μετά ἀδειας πατέρα και μητέρα και τους ἄλλους οικείους، سواءًا لأنهم قد ماتوا في الحرب أو لأنهم قد وقعوا تحت طائلة الأسر والعبودية، ومن أجل تهدأه روع تلك النساء الأسيرات ينصح فيلون بالتعامل معهن بالحسنى وإعطائهن ملابس جديدة وقص شعورهن وتقليم أظافرهن وتركهن لمدة ثلاثين يوماً. ثم بعد ذلك فليعيش الرجال مع أسيراتهم من النساء كما لو كن زوجات شرعيات γαμετή νόμω لا بوصفهن عشيقات ἑταίραν أو عاهرات أجيرات لأن الإيمان والقداسة تأمر بذلك وليكن السبب في اتخاذهن زوجات شرعيات إما أن يكون دافع من الشعور بالحب نحوهن ἑρωτα του συνιόντος أو من أجل الإنجاب τέκνων γένεσιν. ويوضح فيلون السبب وراء تحديد الفترة الزمنية لترك تلك الأسيرات لكي يتعافين من أحزانهن بثلاثين يوماً بأن ذلك من أجل إخماد أي شعور بالشهوة أو الرغبة تجاههن من قبل أسيادهم، ولكي يخبر الرجل حقيقة مشاعره تجاه أي أسيرة لديه فهل هو إحساس بالرغبة المتأججة المرهونة بوقت معين أم أن تلك المشاعر النقية نابعة وصادرة عن العقل، فضلاً عن أن هذه الفترة كافية لإستعادة الحالة النفسية للأسيرة وشفائها، سواءًا كانت تلك الأسيرة بكر تركت أبويها اللذان انتظرا طويلاً لتربيتها ورؤيتها شابة يافعة، أو إذا كانت تلك الأسيرة أرملة فقدت زوجها في الحرب وتخشى قسوة سيدها حتى وإن كان يعاملها وفقاً للمساواة Ισότητα ἐπιτηδεύη وليس بالسيادة [78].

ولعل الحديث عن الأسيرات والرؤية التي يطرحها فيلون للتعامل معهن وفقاً للتعاليم الموسوية وللكتاب المقدس يدفعنا للتساؤل التالي: **هل ذكر النساء في هذا الموضع تحديداً من شرحه لفضيلة الفيلانثروبيا يمكن تفسيره بأنه يحمل دعوة ضمنية إلى العدالة الإجتماعية التي تنال فيها المرأة حقوقاً مساوية للرجل خاصة وأنه ذكر هذا المعنى في شرحه، أم هل يُفهم من هذا الحديث أنها دعوة إلى الرفق بالعبيد ومعاملتهم بالحسنى كما تدعو جميع الأديان؟**

[77]- Ibid, XXII, 109.
[78] - Ibid, XXII,110-115.

هناك من ينفي أن تكون هذه دعوة من فيلون لمبدأ المساواة أو العدالة الإجتماعية التي تتساوى فيها المرأة مع الرجل من حيث الحقوق العامة والواجبات، بل ويرى أن حديث فيلون عن الأسيرات هنا هو مجرد رفض للغطرسة والوحشية التي يتلقاها العبيد والأسرى ممن يملكونهم[79]. لكن فيلون نفسه لم يرفض صراحة ملكية العبيد[80]. وهذا ما يجعل موقف فيلون من العبودية غير واضح خاصة إذا ما وضعنا في الإعتبار ما ذكره سابقاً عن الإحسان للأسرى. لكن هل يعود ذلك إلى تعاليم الدين اليهودي نفسه الذي قنن العبودية من اليهود وجعلها وفقاً لظروف بعينها ولمدة زمنية محددة كما ورد على سبيل المثال في سفر اللاويين[81]، بينما ينص صراحة على العبودية من غير اليهود؟[82] ولكي نتعرف على موقف فيلون الحقيقي من العبودية سواءًا من اليهود أو من غير اليهود نورد فيما يلي ما ذكره فيلون حول العبودية والذي جاء في إطار شرحه لفضيلة الفيلانثروبيا.

تعاليم موسى فيما يتعلق بالعبودية والحرية:

إن الإجابة على التساؤل السابق لا تعتمد فقط على التوجه الديني والعقائدي الذي يدين به فيلون، بل تعتمد أيضاً على الثقافة اليونانية التي شكلت جزءًا كبيراً من وجدان وشخصية فيلون كمفكر وفيلسوف يهودي نشأ على الثقافة اليونانية وتشبع بها وتأثر بأشهر مذاهبها الفلسفية فكان أول من وضع الفلسفة في خدمة الدين. ومع ذلك فقد ثار جدل واسع حول تحديد هوية فيلون وما إذا كان يهودياً أم إغريقياً، رغم أن هذا الجدال كان ينتهي دائماً إلى أنه رغم كل شيء كان يهودياً، بل يهودياً أرثوذكسياً[83]. فضلاً عن ذلك لا يجب أن نغفل منهج فيلون في التأويل الرمزي الذي كان يتبعه في تفسير تعاليم الكتاب المقدس وتعاليم وإرشادات معلمه وسيده موسى عليه السلام والذي سينعكس بطبيعة الحال على مفهومه حول العبودية.

فيما يتعلق بتشريع العلاقة بين العبد وسيده يقول موسى أن من يخضعون أو يكرسون أنفسهم لخدمة آخرين θῆτας نتيجة لاحتياجهم χρεία لا يجب أن يُرغموا على تحمل أي شيء غير لائق بإنسان حر المولد τῆς εκ γένους ελευθερίας، ناصحاً أسيادهم بأن يأخذوا بعين الإعتبار مسألة سوء الحظ غير المتوقع الذي لاقاه هؤلاء الخدم εις το τῆς τύχης

---

[79] - Sharon Weisser, 'Philo's Therapeutae and Essenes: a Precedent for the Exceptional Condemnation of Slavery in Gregory of Nyssa?' in K. Berthelot and M. Morgenstein (eds.), The Quest for a Common Humanity: Human Dignity and Otherness in the Religious Traditions of the Mediterranean (Leiden: Brill, 2011) 289–310.

[80]- Ilaria L. E. Ramelli, Social Justice and the Legitimacy of Slaver: The Role of Philosophical Asceticism from Ancient Judaism to Late Antiquity, Oxford University Press, 2016, p.11.

[81] - تقول الآيات: "كاجير كنزيل يكون عندك. الى سنة اليوبيل يخدم عندك. ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود الى عشيرته. والى ملك آبائه يرجع".{سفر اللاويين،الإصحاح 25: الآيات39-40}.

[82] - تقول الآيات: "واما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيدا واماء. وايضا من ابناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في ارضكم فيكونون ملكا لكم".{سفر اللاويين،الإصحاح 25: الآيات44-45}.

[83] - مجدي كيلاني، فيلون السكندري بين الفلسفة والدين، ص5. وعن الجدل المثار حول تحديد هوية فيلون راجع نفس المرجع: الفصل الأول بعنوان من هو فيلون وماهي فلسفته، صص15-73.

ἀτεκμαρτον، وأن يحترموا ويقدروا أوضاعهم المتغيرة αιδώ τής μεταβολής[84]. وجدير بالذكر أن فيلون في كتابه "عن القوانين الخاصة" يوضح سببين لإمكانية اتخاذ العبيد من أمم أو بلدان أخرى أما السبب الأول فإنه يتلخص في ضرورة التمييز بين أبناء الوطن وبين من هم من خارج الوطن، أما السبب الآخر فيرجع إلى أنه لا يمكن استبعاد موضوع حيازة العبيد من تعاليم موسى لأن الحياة مليئة بالظروف التي تستوجب وجود خدم وعبيد للمساعدة وتقديم العون[85]. والفقرات التي يشير إليها فيلون هنا فيما يتعلق بتعاليم موسى وردت في أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس،[86] وجميعها تؤكد على ضرورة أن يكون العبد من غير أبناء الوطن بل من الشعوب الأخرى، وهذه النظرية تتفق مع ما جاء في بعض المجتمعات القديمة مثل المجتمع اليوناني على وجه التحديد، كما كانت هذه الفكرة مقبولة لدى قطبي الفكر الفلسفي اليوناني وهما أفلاطون وأرسطو، حيث رأي أفلاطون أنه لا غرابة في نظام العبودية والغرابة الوحيدة في هذا النظام هو أن يستعبد اليوناني يونانياً آخر مثله، فينبغي قصر العبودية على الأجانب من غير اليونانيين[87]، أما موقف أرسطو فلم يختلف كثيراً عن موقف أفلاطون السابق من العبودية فقد رأى أن العبيد آلة يستخدمها السيد داخل المنزل وأنهم مؤهلون لذلك بالطبيعة وصعد أرسطو تلك النظرية تصعيداً أكثر عنصرية حينما أسس لمفهوم العبودية بين الشعوب، فالبرابرة على حد قوله هم أكثر الشعوب استعداداً للعبودية وأن العرق الهلليني هو الأجدر على حكم العالم وقيادته[88]. وعلى هذا النحو إذن يكون موقف فيلون من العبودية موقفاً مبرراً لا يدعو إلى الغرابة خاصة إذا ما وضعنا في اعتبارنا أن فكر فيلون الفلسفي والديني متأثر بتعاليم الكتاب المقدس في المقام الأول وكذلك بالخلفية الثقافية التي تعكس قدراً كبيراً من تأثره بالتراث الفكري والفلسفي اليوناني. بل ربما يُحمد له أنه أضاف بعداً دينياً وإنسانياً فيما يتعلق بمعاملة العبيد معاملةً تليق بكونهم بشر في المقام الأول والأخير.

وقد قدمت تعاليم موسى حلولاً جذرية فيما يتعلق بالعبودية حيث رفض موسى رفضاً تاماً أن يعاني هؤلاء العبيد من التعاسة الأبدية نتيجة لاضطرارهم للعمل كعبيد حيث تمنحهم تعاليم موسى الخلاص الديني من تلك التعاسة والذي يتمثل في تحريرهم من العبودية تحريراً كلياً ἐκεχειρία وذلك في العام السابع من عملهم كعبيد. وذلك لأن مدة الأعوام الستة كما حددها موسى كافية بالنسبة للعبد من أجل الخدمة أو سداد الدين (وذلك في حالة أن يكون قد أصبح عبداً نتيجة للديون)[89]. ويذكرنا هذا بالمجتمع اليوناني القديم حيث سادة فكرة الديون مقابل الأجساد فمن لم يدفع الدين يصبح هو وأبناؤه عبيداً لدى الدائن لكن هذا الأمر إنتهى في عهد سولون المشرع الأثيني الذي قام بإلغاء الديون مقابل الأجساد[90] .

أما العبيد الذين لم يكونوا كذلك منذ ميلادهم فلا يجب ان يُحرموا من السعادة والحرية للأبد بل لابد من إعادتهم مرة أخرى إلى حالتهم الأصلية من الحرية، يقول فيلون حول ذلك:.

---

[84] - Philo, Ibid, XXIV, 122.

[85] - Idem, De Specialibus Legibus, II, 123.

[86] - وردت الآيات المتعلقة بالعبيد في المواضع التالية: سفر الخروج: الإصحاح21، الآيات من 1 إلى 6، سفر اللاويين: الإصحاح 25 الآيات 44إلى 46.

[87] - Plato, Republic, V,469c.

[88]- Aristotle , Politics , 1285a-20-25.

[89] - Philo, De Virtutibus, XXIV, 123.

[90]- Aristotle , Athenaion Politeia, II ,2.

" إذا قام شخص بالعمل كخادم لدى شخص آخر لمدة ثلاثة أجيال τριγονίας نظراً لخوفه من سيده نتيجة لارتكاب جريمة ما τινών αμαρτημάτων، أو إذا كان لم يرتكب أي جريمة على الإطلاق لكنه يعمل لدى سيد قاس وعنيف ώμοθύμω και άμειλίκτω، فعليه أن يلجأ كرهينة καταφυγή لشخص آخر راغباً في أن يجيره من سيده فلا يتعين على أي شخص أن يرفضه μή περιίδης، لأنه ليس من الدين (القداسة)ὅσιος أن يتخلى الإنسان عن شخص يلجأ إليه ικέτης حتى وإن كان عبداً ὁ δούλος يطلب حق اللجوء أو الحصانة ασυλία خاصة إذا عرض هذا العبد أن يقوم بالخدمة بأمانة άδολους ، وإذا لم ينل تلك الحصانة فيجب أن يتم بيعه إلى شخص آخر. لأنه ليس من المؤكد ما سيكون عليه من أثر نتيجةً لتغيير سادته άλλαγαι αί τών δεσποτών، لأن تحمل شر غير مؤكد أقل ألماً من تحمل شر أكيد τοῦ δ' όμολογου μένου κουφότερον τό άδηλον κακόν[91]".

لقد كان مفهوم العبودية داخل المجتمع اليهودي القديم مفهوماً مزدوجاً، حيث كان التمييز - كما سبق وأن رأينا- بين العبد العبراني أو اليهودي الذي يتم اعتاقه وتحريره بعد السنة السادسة من عبوديته وهو ما يقترب من مفهوم السخرة وليس العبودية، وبين العبد الأجنبي أو العبد من غير اليهود ممن كانوا يرتبطون مع سادتهم بعلاقة تعاقدية.[92] وربما يفسر ذلك إمكانية التحرر من العبودية بعد ستة أعوام بالنسبة للعبد اليهودي، أما غير اليهودي فآلية ذلك مختلفة تماماً حيث تتمثل في إمكانية اللجوء إلى سيد آخر في حالة شعور هذا العبد بقسوة سيده الأصلي. وعلى ذلك فإن العبودية من اليهود هي أقرب للخدمة أو السخرة وليس العبودية المطلقة بمفهومها المعروف واليهود في هذه الحالة يكونون خدماً وليسوا عبيد، بينما الأمر مختلف تماماً بالنسبة للأجانب فهؤلاء عبيد وليسوا خدم.

الحياة وفقاً للطبيعة:

من أهم المبادئ التي يشير إليها فيلون ضمن تفسيره لفضيلة الفيلانثروبيا مبدأ العيش وفقاً للطبيعة ἡ φύσις ، وهو مبدأ يعكس تأثر فيلون بالفلسفة اليونانية وبالرواقية على وجه التحديد، حيث رأى الرواقيون أن الخير الأسمى إنما يتأتى من خلال الحياة وفقاً للطبيعة، والمقصود من وراء هذا المذهب لديهم الحياة وفقاً للفضيلة، فالفضيلة عند الرواقيين هي الكمال في أي شيء بمعنى كمال طبيعة الشيء، والحياة في اعتقادهم - بصرف النظر عن اللذات بكل أشكالها الحسية- هي السبب الذي يمنح الإنسان السعادة المطلوبة[93]. **لكن ماذا يُقصد بالطبيعة هنا؟ وكيف فسر فيلون هذا المبدأ وفقاً لتعاليم موسى؟**

فسر الرواقيون هذا المبدأ بأنه يعني الحياة وفقاً للفضيلةἡ ἀρετή[94]، بينما يفسر فيلون ذلك من خلال تعاليم موسى حول الحيوانات غير العاقلة τών άλογων ζώων، حيث دعت تعاليم موسى كما يذكر فيلون إلى الإمتناع عن أكلἐδωδή ولدان وصغار الخراف ταῖς ήμέροις والماعز αίπόλια والماشيةβουκόλια أو الإنتفاع بها ἀπόλαυσις أو تقديمها άγέλαις

[91] - Philo, Ibid, XXIV, 124.

[92] - Peter Garnsey, Ideas of Slavery from Aristotle to Augustine, Cambridge University Press, 1999, p.27.

[93] - مجدي كيلاني، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، ص ص240-241.

[94]- Diogenes Laertius, VIII, 87.

كأضحيات للآلهة επι προφάσει θυσιών λαμβάνοντας، لأن استخدامها في هذه الحالة إنما يعتبر وحشيةً ωμής وقسوةً شديدةύπελαβεν ، فهم على هذا النحو يحرمونها من أمهاتها من أجل لذة الطعام γαστρός ηδονής[95]. لذلك يخاطب موسى من يبتغي الحياة وفقاً لتعاليمه قائلاً:.

" أيها الرجل الصالح، هناك أشياء كثيرة لا حصر لها αφθονία يمكن الإستمتاع بها άπόλαυσιν والتي لا يشوبها لومμεμψις طالما أن هناك وفرة من الخيرات، بينما يمكن أن يكون الأمر مقبولاً فقط في حالات الندرة απορία والنقص الشديد σπάνις التي تجبر الإنسان على فعل أشياءًا كثيرة لا يرغبها. لكن يجب عليك أن تكون متفوقاً في ضبط النفس εγκράτειαν وفي ممارسة كافة الفضائل الأخرى، وأن تكون متميزاً بين الجميع في اتباع تعاليم سيدك التي تتفق مع الفطرة السليمة τω τής φύσεως όρθώ λόγω متجنباً أي شيء خاطئ[96]."

ويوضح فيلون أن ما شرعه موسى فيما يتعلق بتلك الحيوانات إنما يصب في صالح البشر أنفسهم وذلك حينما يتمعن البشر في حال تلك الحيوانات على نحو ما خلقتها الطبيعة فربما يتعلمون من تلك الحيونات ويرون من خلالها نماذج وأمثلة لمخلوقات لم يمنعها من البهجة والسعادة البحث عن ما يلزمها من طعام، ذلك الطعام الذي اعدته لهم الطبيعة على أكمل وجه وفي أفضل وأنسب الأماكن، فلذة الطعام مضمونة وفقاً للطبيعة فلا يجوز لأي شخص أو كائن ان يعترض على الهبات التي يمنحها له الله[97].

كذلك تشدد تعاليم موسى على عدم التضحية بالأم ووليدها في نفس اليوم حتى وإن كان لابد من تقديمهما للأضحية فليكن ذلك في أوقات مختلفة موضحاً أن هذا الفعل إنما هو دليل على وحشية شديدة άγριότητος وتهورύπερβολήν أن يتم التضحية بالأم وصغيرها في نفس اليوم. لأن تقديم تلك الحيوانات على سبيل الأضحية إنما هو إفك وكذب لأنها في هذه الحالة تكون ضحية σφάγια، وليست أضحية θυσία، أما هؤلاء الذين يستخدمونها كطعام θοίνης، فهذا يعكس صورة غير مسبوقة للشراهة γαστριμαργίας فمثل هؤلاء الأشخاص إنما يلهثون وراء لذة ηδονή مفرطة έκτοπους. فماهي اللذة بالنسبة لمن يأكلون تلك اللحوم[98]. وقد حرص فيلون على تفسير تعاليم موسى فيما يتعلق بالطعام وتحديداً المسموح به وغير المسموح به وفقاً لتلك التعاليم في مواضع كثيرة من أعماله منها على سبيل المثال في كتابه بعنوان "عن القوانين الخاصة" حيث يتحدث فيلون عن النهم الذي يؤدي إلى الإفراط في الطعام وهو ما يؤدي إلى سوء الهضم[99] والذي يعتبر بدوره السبب لكافة الأمراض. وتشير تعاليم موسى إلى التمييز بين الطعام الحلال وغير الحلال وفقاً للإستخدام المقيد لأنواع الطعام فهو يمنع ويحرم الحيوانات والأسماك والطيور الدسمة ευσαρκοτατα والغنية بالدهون πιότατα على الرغم من كونها أطيب اللحوم مذاقاً، وهو يفعل ذلك لأنه يعلم مدى خطورة لذة الطعام في الوقوع في شرك غواية

---

[95] - Philo, Ibid, XXV, 126.
[96] - Ibid,XXV, 126-127.
[97] - Ibid, XXV,133.
[98] - Ibid,XXVI, 135-136.
[99] - Idem, De Specialibus Legibus, IV, 91.

δελεάσαντα الطعام وهو ما يدفع الناس للأكل من أجل لذة الطعام، وهو ما يمثل وفقاً لعلوم النفس انتصاراً للرغبة أو الشهوة ἐπιθυμία على العقل، وانتصار الرغبة التي يكون الدافع من ورائها اللذة على العقل والذي يكون الدافع من ورائه سلامة الصحة واعتدالها يعني أن النفس ستقع فريسة للشره والنهم ἀπληστία وهو ما يؤدي إلى الإفراط في الطعام وما يستتبعه من سوء الهضم وكثير من الأمراض الأخرى[100].

كذلك تنهى تعاليم موسى عن التضحية بالحيوانات التي تحمل في أحشائها أجنة ولم تضع بعد، بل يتعين الإنتظار بعد أن تضع تلك الحيوانات صغارها بوقت كاف. فما تحمله تلك الحيوانات في أحشائها لا يقل من حيث الأهمية عن تلك الحيوانات الموجودة فكلاهما مخلوقات، كما تنهى تعاليم موسى على مشاركة صغار الماشية والخراف في ألبان أمهاتها " ουχ έψήσεις άρνα έν γάλακτι μητρός"[101].

وقد حرمت تعاليم موسى قطع أي أشجار مثمرة ثماراً صالحة للأكل μήτη δενδροτομεῖν όσα τής ήμερου ύλης وكذلك حرمت جمع الثمار قبل تمام نضجها وتدمير وتخريب أي محصول بأي طريقة وتحت أي ذريعة من أجل الغذاء ومن أجل حياة أكثر رغداً وترفاً τόν άβροδίαιτον βίον. فالقمح σῖτος من المحاصيل الهامة للعيش وكذلك وقت الحاجة، أما التنوع الموجود في الثمار الأخرى إنما هو من أجل تحقيق رغد العيش. كما تمنع تعاليم موسى كما ورد لدى فيلون قطع الأشجار لأنه ليس من العدل أن يصب الإنسان غضبه ὀργή على أشياء بريئة من كل الشرور κακός[102]. وقد حددت تعاليم موسى مدة ثلاث سنوات لرعاية النباتات فهذا هو الوقت الكافي لنموها على النحو الصحيح تجنباً لضعف جذورها وبالتالي ضعف الثمار التي ستنتجها على أن يتم جمع تلك الثمار في العام الرابع[103].

إن مبدأ الحياة وفقاً للطبيعة الذي يفسره فيلون وفقاً لتعاليم موسى يعكس دعوة الأديان إلى الإعتدال في تناول اللذات وأخصها لذة الطعام التي قد تدفع الإنسان إلى الشراهة والإفراط الشديد في الطعام دون النظر إلى مدى خطورة هذا الطعام على صحة الإنسان، فضلاً عن أن النهم والميل المفرط للذة الطعام قد يستتبعها بعض الأفعال غير الإنسانية التي لا تتفق مع تعاليم الدين كقتل صغار الماشية أو تقديمها كأضحيات أو مشاركة تلك الصغار في ألبان أمهاتها، كذلك فيما يتعلق بتعامل الإنسان مع الأشجار والثمار جميعها ضوابط توجه سلوك الإنسان نحو تهذيب النفس والإعتدال في تناول ما يحيط به من مخلوقات.

الفيلانثروبيا دعوة للسلام العام:.

يختتم فيلون حديثه عن فضيلة الفيلانثروبيا بمجموعة من الإرشادات الأخلاقية العامة التي تهدف إلى إرساء مبدأ الوفاق أو السلام العام. حيث يقول فيلون بأن كل الأشياء خاضعة لقانون التغير المتصلπάντων τροπαῖς και μεταβολαῖς χρωμένων ، وتجدر الإشارة هنا إلى

---

[100] - Hans Svebakken, Ibid, p.149.
[101] - Philo, De Virtutibus, XXVI, 142.
[102] - Ibid, XXVIII, 150.
[103] - Ibid, XXIX, 159.

تأثر فيلون مرة أخرى بالفلسفة اليونانية فيما لا يتعارض مع تعاليم الدين اليهودي ويتبنى مبدأ هيراقليطوس في التغير المتصل ويوظف هذا المبدأ بما يخدم أغراض ومفاهيم دينية.

ووفقاً لهذا القانون يرى فيلون أن من يكونون أعداء اليوم ربما يصبحون أصدقاء الغد بعد عقد معاهدات الصلح تحت راية السلام. فعلى كل شخص أن يتعامل مع عدوه واضعاً في اعتباره إمكانية تحول هذا العدو إلى صديق. ويرى فيلون أنه على المدن أيضاً أن تعمل وفقاً لهذا المبدأ وأن تتخذ الحذر من الثقة الزائدة في الحلفاء كما لو أنهم لن يتغيروا للأبد ويصبحون أعداءًا لتلك المدن، ومن ناحية أخرى يجب على المدن أن تعمل على عدم زيادة الهوة بينها وبين أعدائها كما لو أنهم لن يصبحوا أصدقاءًا عن طريق عقد معاهدات السلام. كذلك يحث فيلون على إرساء هذا المبدأ تجاه كافة المخلوقات، فإذا لم تجدي محاولات عقد السلام مع الأعداء فلا يجب التعامل بوحشية أو عداء تجاه الزرع والنباتات φυτόν فلا يمكن اعتبارها من الأعداء وإنما هي من أجل خير البشرية ومنفعتها ὠφέλιμος، فتلك الأشجار والنباتات ضرورية سواءًا كانت تنتج ثماراً نافعة للبشر بشكل مباشر أو غير مباشر. ولماذا يكون المرء معادياً لأشياء هي بعيدة كل البعد عن العداء τέμνοντας τι δή δει πεπολεμώσθαι προς τά μή πολέμια، فيقوم بقطعها أو حرقها καίοντας أو إقتلاعها من الجذورρίζαις φύσις، تلك الأشجار التي وجدت بالطبيعة وأصبحت ناضجة عن طريق الماء والحرارة المناسبة وهو ما أهلها لإنتاج الثمار بشكل مستمر للبشر كما لو أنها عبيد تعمل لدى ملوكها δασμούς ετησίους οΐσοντα άνθρώποις οία βασιλεϋσιν[104].

إن الغاية من تلك التعاليم التي تشمل كافة المخلوقات هي أن يمارس البشر مفهوم الإنسانية مع كافة المخلوقات غير العاقلة وغير الحاسة حتى لا يخطئ ممارسة هذا المفهوم مع المخلوقات العاقلة، فمن سيتجنب الوحشية مع المخلوقات البسيطة غير الحاصلة على العقل ἔμψυχα سيرعى ويهتم بتلك المخلوقات التي أنعم الإله عليها بالعقل λογικοί. وعلى هذا النحو تهذب تعاليم موسى من سلوكيات من يعيشون تحت لوائه وتحميهم من الزهو αλαζονείας والغطرسة άργαλεωτάτων επαχθέστατων κακών التي تعتبر آفات النفس وأخطر الشرور، تلك الصفات التي قد تدمر المدينة بأسرها. ويذكر موسى اتباعه بالأشياء التي تقود إلى تلك الآفات والشرور وهي النهم والإفراط في الطعام وكذلك الإفراط في ملكية المنازل والأراضي وقطعان الماشية πλησμονής γαστρός άμετρου και οικιών καϊ κτημάτων και θρεμμάτων άφθονου περιουσίας، لأن تلك الأمور تجعلهم فاقدين للسيطرة على زمام أنفسهم وشهواتها ويميلون إلى الزهو والتكبر وينسون اللجوء إلى الإله μη δεποτε εκλανθάνεσθαι τοϋ θεοϋ. فالإله الذي لايمكن إدراكه إلا بالعقل ينير النفس ويبدد ما يشوبها من شرور عن طريق الفضائل التي يغرسها في نفوسهم. فالإله هو الذي يمنح البشر القوة على الصمود وصنع المعجزات " δίδωσιν ισχύν ποιήσαι δύναμιν"، وعلى الإنسان أن يدرك أنه كان ضعيفاً قبل أن ينعم عليه الإله بهذه القوة التي سيتصدى بها للغطرسة والغرور والزهو وعليه أيضاً أن يشكر الإله على ذلك، والغرور والغطرسة لا يتفق مع الروح الشاكرة

[104] - Ibid, XXIX, 154.

للإله ευχάριστος ψυχή فالنكران والجحود αχαριστία يقتربان كثيراً من الغطرسة والغرور[105].

ويفسر فيلون آية موسى عن القوة التي يمنحها الإله لصنع المعجزات بأن الإنسان وفقاً لتلك الهبة الإلهية يكون قادراً على تحقيق الخير لذاته وللآخرين، فما يتمتع به الإنسان من خير وفضيلة سينعكس بطبيعة الحال على من حوله من البشر، ويوضح فيلون ذلك بقوله أن هناك بعض الأثرياء على سبيل المثال يرسخون للنقيض بين من حولهم من البشر، ففي الوقت الذي يتمتع فيه هؤلاء بالثراء فإنهم يكونون سبباً في انتشار الفقر والذل والهوان بالنسبة للآخرين. بينما الحكيم وحده هو من يعلم أن السبيل إلى الوصول إلى القوة والفضيلة يتمثل في اسباغه لنفس الحالة على من حوله وجعلهم في نفس الظروف والحالة التي يعيشها. فالمعتدل يجب أن يسعى لجعل من حوله معتدلينσώφρονα، والشجاع ἀνδρεῖος عليه أن يسعى لبث نفس الفضيلة فيمن حوله، والعادل δίκαιον يجب أن يجعل من حوله يتحلون بالعدل δικαίους على شاكلته، بإختصار على كل صالح αγαθόν أن يسعى لجعل من حوله صالحين مثله. لأن هذه الفضائل هي قوة في ذاتها يسعى إليها كل إنسان فاضل بخلاف الضعف ἀδυναμία والوهن ασθένεια وهي صفات ضد أخلاق الفاضل αλλότρια σπουδαίων τα ενάντια ηθών[106].

وتضيف تعاليم موسى بعداً آخر حيث يقول بأنه يتعين على الإنسان أن يحاكي الإله μιμεῖσθαι θεόν من أجل صالح قوته وفضيلته، وطالما أن الإنسان سيستمد قوته من الإله الذي تفوق قوته كل شيء وسيعمل على نشر ما يتمتع به من فضيلة منحا الإله إياها بين من حوله سيكون الإنسان بذلك إنما يحاكي الإله. فالإله يضع تلك الفضائل في بعض البشر ليس بغرض منعها عن البعض الآخر منهم بل بغرض أن يمارس هؤلاء المصطفين فضيلة المنح على البشر. أما من يمتنعون عن ذلك ويتسمون بالغطرسة والغرور والتكبر فإنهم يغضبون الإله بذلك[107].

وتعتبر فكرة محاكاة الإله من العناصر الهامة في تعاليم فيلون الأخلاقية. ويذكر فيلون في فكرة واحدة مما ورد في كتاب "هجرة إبراهيم"[108] ، إن فضيلتى التقوى والإيمان "تستقيم معهما نية القلب بالنسبة للكائن الذي لا يصيبه الفساد: مثلما حدث مع إبراهيم عليه السلام عندما آمن فقيل "إنه إقترب من الإله" (سفر التكوين: الإصحاح18 الآية23). لكن فيلون يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يختلف مع كل من أرسطو والرواقيين حول كيفية إكتساب الفضيلة، مؤكداً أنها بالطبيعة، والممارسة والتعلم – وكل ذلك يأتي نتيجة لتقدير الإله. وهناك عدد من الفقرات التي يؤكد فيها فيلون أن الوسائل الثلاث وهي الطبيعة والممارسة والتعلم ضرورية[109]. ويتضح من ذلك أن فيلون يعني بالطبيعة هنا التقدير الإلهي، لأن الأمر يتعلق بتقدير الإله الذي يعطي كل شيء بقدر وفقاً لإرادة مطلقة. كما أن للممارسة والتعلم معاني خاصة: حيث يُقصد بها ممارسة أو تعلم قوانين الإله. لكن من الأهمية بمكان أن نلاحظ أن فيلون يقول صراحة - رغم أن ذلك جاء

---

[105] - Ibid, XXX, 160-165.
[106]- Ibid, XXXI, 166-167.
[107]- Ibid, XXXII, 169-171.
[108] - Idem, De Migratione Abrahami, 132.
[109]- Idem, De Somniis,I,167. ; De Abrahamo,53; De Praemiis et Poenis,64-5.

على لسان موسى- إنها جميعاً وبدون إستثناء آيات الإصطفاء والفضل والبر الإلهي، وعن طريق هذه الآيات يحث فيلون كل البشر على الفضيلة، وعلى وجه الخصوص أمته من اليهود الذين يتعبدون للإله، الذين يفتح لهم الطريق المؤدي إلى السعادة" [110].

إن الغرور والغطرسة هي آفات النفس ورذائلها الأساسية، تلك النفس التي لا يراها ولا يعلمها إلا الإله وحده ὁτι πρώτον μέν αλαζονεία ψυχής έστι κακία, ψυχή δέαόρατος Οτι μή θεώ، فالإنسان المتغطرس يرى نفسه شبيهاً بالإله بل إنه أشبه بالمعبود ويعتقد أنه جدير بتجاوز كافة الحدود الطبيعية والبشرية υπέρ τούς όρους τής ανθρωπινής φύσεως βαίνειν άξιων، ويرى في نفسه أنه أكثر جدارة وتميزاً وينظر إلى جميع من حوله على أنهم دونه ولكنه على هذا النحو إنما يكون خصماً للإله ويستحق عقابه.

εικότως ούν ό τοιούτος αντιδικώ και κολαστή χρήσαιτ άν, ώς φησιν ό ίεροφάντης, θεώ[111].

نتائج البحث:

- نلاحظ من خلال الدراسة السابقة لمفهوم فضيلة الفيلانثروبيا عند فيلون السكندري أن موسى عليه السلام هو المثال الذي يُحتذى به في محبة الإنسانية على مر العصور والأزمان بل ربما كانت هذه هي الغاية التي ينشدها فيلون من خلال تفسيره لمفهوم هذه الفضيلة التي تمزج بين الأخلاق والدين.
- اهتم فيلون اهتماماً خاصاً بهذه الفضيلة لأنها تتفق مع تعاليم الدين اليهودي لكن يُنسب إليه أيضاً أن يفلسف هذه النقطة عندما يقرنها بفضيلة العدالة ولا غرابة في ذلك فحتى يكون الإنسان إنساناً بالمعنى الحقيقي للكلمة يجب أن يكون عادلاً.
- يقرن فيلون فضيلة الفيلانثروبيا بمفهوم التقوى وكأنه إنما يريد أن يقول أن الإنسان يجب أن يكون بالضرورة تقياً. ونلاحظ هنا أن فيلون يستخدم الدين والفلسفة في تحقيق غاية متبادلة وذلك بوصفه رائداً لوضع الفلسفة في خدمة الدين.
- من الطريف أن نجد عند فيلون السكندري جذوراً للدعوة المبكرة للتسامح وهي دعوة تتفق عليها وتدعو لها كل الأديان وكافة منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الدينية في العالم بأسره من أجل تواصل حضاري مثمر ومن أجل القضاء على ما يُسمى بصراع الحضارات، ومما لا شك فيه أنه إذا كان فيلون قد تأثر في هذا الصدد بتعاليم الدين اليهودي التي تحض على ذلك المفهوم إلا أنه أيضاً كان متأثر بالفلسفة الرواقية في هذا الجانب.
- إذا كان الإله في اليهودية أو في الفلسفة الرواقية بوصفهما مصدرين أساسيين لفلسفة فيلون يحب الإنسان ويسبغ عليه عنايته ليس كمجموع ولكن فرداً بفرد دلالة على محبته الشديدة له، فليس أقل من أن يحاكي الإنسان ربه ويحب أخاه الإنسان تشبهاً واقتداءًا بالإله وتأسياً به حتى يستقيم الأمر.

[110] - مجدي كيلاني، المرجع السابق، ص ص 309-310.

[111] - Idem, De Virtutibus, XXXII, 172-174.

- إذا كانت العقلانية قد دعت أرسطو إلى أن يضيف فضيلة السمو النفسي إلى الفضائل الأربع الرئيسية المعروفة عند فلاسفة اليونان بل ويجعلها تاج الفضائل جميعاً، فقد دعا التدين فيلون إلى الدعوة إلى هذا المفهوم العميق للإنسانية المتجسد في فضيلة الفيلانثروبيا ليكون إضافة مهمة إلى الفضائل الأربع الرئيسية.
- أخيراً وليس آخراً فإن الدعوة إلى الفيلانثروبيا تحقق مبدأ المودة والرحمة الذي يدعو إليه الدين الإسلامي والذي نقرأه في حديث رسول الله ﷺ الكريم الذي يدعو الإنسانية كلها إلى المحبة من خلال قوله بأنه لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وهذا هو قمة الإنسانية وذروتها خاصة وأن رسول الله الكريم لم يحدد في دعوته هذه ديناً أو جنساً وإنما وجه هذه الدعوة للإنسانية بأسرها.

قائمة المصادر

- Aeschylus, Prometheus Bound,ed. And. Translated by Alan H. Sommerstein, Harvard University press, 2008

- Aristias , Letters, ed. & tr. by Moses Hadas, Wipf & Stock Publishers; Reprint edition, 2007.

- Aristophanes, Peace, Translated by Benjamin Bickley Rogers, Harvard University Press, 1924 .

- Aristotle, Athenaion Politeia, Translated by H. Rackham, Harvard University Press, Loeb Classical Library Reprinted 1996.

-Idem, Nichomachean Ethics,Text and Commentary by J.Burnet, London, 1900, and Text with Translation and Commentary by Green Wood, Cambridge,1909, and Text With Translation by H.Rackham, Loeb Classical Library, 1947.

-Idem, Poetics, ed.and tr. by Stephen Halliwell, William Hamilton Fyfe, W. Rhys Roberts, Doreen C. Innes, Harvard University Press, 1995.

-Diogenes Laertius, The lives of the most eminent Philosophers, translated by R.D.Hicks, 2 Vols. , (Loeb classical library), 1907.

- Isocrates, Nicocles, Translated by George Norlin, LaRue Van Hook, Harvard University Press, 1980.

- Philostratus, Epistulae,vol.2.apud: Kevin McCruden, Solidarity Perfected: Beneficent Christology in the Epistle of the Hebrews.

-Philo, De Abrahamo, tr. by F. H. Colson, Loeb Classical Library, Harvard University press, 1935.

- Idem, De Migratione Abrahami, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.

- Idem, De Plantatione, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.

-Idem, De Praemiis et Poenis, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.

-Idem, De Somniis, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.

- Idem, De Specialibus Legibus, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.

- Idem, De virtutibus, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.
- Idem, Legatio ad Gaium, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.
- Idem, Quod Omnis Probus Liber Sit, tr. by C. D. Yonge, published by Hendrickson, 1993.
-Plato, Cratylus, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York, 1946.
-Idem, Euthyphro, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York, 1946.
- Idem, Laws, English translation of all The Dialogues by B.Jwett,1871, New edition at New York, 1946.
-Idem, Republic, tr. by Paul Shorey, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1930.
-Idem, Statesman, tr. by R. G. Bury, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1929.
- Idem, Symposium, tr. by W.R. M. Lamb, LLoeb Classical Library, Harvard University Press, 1977.
-Plutarchus, Moralia, tr. by Frank Cole Babbitt, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1936.
-Idem, De communibus notitiis adversus stoicos, , tr. by Frank Cole Babbitt, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1936..
- Idem, De Stoicorum Repugnantiis, , tr. by Frank Cole Babbitt, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 1936 .
- Polybius, Historiae,Translated by William Roger Paton, edited by Frank William Walbank, Loeb Classical Library, Harvard University Press, 2011.

- الكتاب المقدس، العهد القديم، موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية - مصر / URL: http://St-Takla.org .
- إبن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول، مكتبة المعارف- بيروت،1990.

قائمة القواميس والمعاجم :

- Liddell, H. G., Scott, R., Jones, H. S., McKenzie, R., & Barber, E. A. (1961). *A Greek-English lexicon*.Oxford, UK: Clarendon.
- Idem, An Intermediate Greek Lexicon, Oxford, At The Clarendon Press,1968.
- Pseudo-Plato Definitions; Translated by: Liddell.1961.

قائمة المراجع والدوريات الأجنبية

- Borgen P., Philo of Alexandria: An Exegete For His Time, Brill Leiden New York Koln,1997.
- Elliott C., Usury, library of Alexandria, 2016
- Else G.F., Aristotle's poetics: The Argument. Cambridge, MA: Harvard University Press. 1963,
- Erwin R. Goodenough, By Light, Light: The Mystic Gospel of Hellenistic Judaism, New Haven: Yale University Press.1935. apud: Zev Farber, Images of Joshua in the Bible and Their Reception.
- Farber Z., Images of Joshua in the Bible and Their Reception, Walter de Gruyter GmbH & Co KG, 2016.
- Garnsey P., Ideas of Slavery from Aristotle to Augustine, Cambridge University Press, 1999.
- Ilaria L. E. Ramelli, Social Justice and the Legitimacy of Slaver: The Role of Philosophical Asceticism from Ancient Judaism to Late Antiquity, Oxford University Press, 2016.
-Lewis, C.S, The Four Loves, published by Geoffrey Bles, 1960.
- Lorenz S., De Progressu Notionis Philanthropia, Ph.D.Dissertation, Leipzig, 1914.
- Louis H. Felman, "Philo's Interpretation Of Joshua" JSP12.2(2001):165-168.apud: Zev Farber, Images of Joshua in the Bible and Their Reception.
- McCruden K., Solidarity Perfected: Beneficent Christology in the Epistle of the Hebrews,published by:Walter de Gruyter GmbH& Co.KG,D-10785 Berlin,2008.
- McFarland O., God and Grace in Philo and Paul, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherland, 2016.
- Rocca S., Herod's Judaea: A Mediterranean State in the Classical World, Wipf&Stock pub,2015,
- Sulek M., On The Classical Meaning of Philanthropia, Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, published by SAGE on behalf of ARNOVA (Assossiation for Research on Nonprofit Organization and Voluntary Action) VOL.39,Number3, 2010,pp385-408 .
- Svebakken H., Philo Of Alexandria's Exposition of The Tenth Commandments, The Society of Biblical Literature, Atlanta, 2012
- Veldhuizen M.V., "Moses: A Model of Hellenistic Philanthropia" OJ,.Public Knowledge Project, Vol. 38, N. 3, pp. 215-224,1985
- Weisser S., 'Philo's Therapeutae and Essenes: a Precedent for the Exceptional Condemnation of Slavery in Gregory of Nyssa?' in K. Berthelot and M. Morgenstein (eds.), The Quest for a Common

Humanity: Human Dignity and Otherness in the Religious Traditions of the Mediterranean (Leiden: Brill, 2011) 289–310.

-Williamson R., Jews in Hellenistic World: Vol. I. part. 2 :Philo, Cambridge Commentaries on Writings of the Jewish & Christian World 200BC to AD200, Cambridge University press, 1989.

قائمة المراجع العربية:

- مجدي كيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون -دراسة مصدرية-، المكتب الجامعي الحديث،2009.

- نفس المؤلف، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، المكتب الجامعي الحديث، 2009.

- نفس المؤلف، فيلون السكندري بين الفلسفة والدين، المكتب الجامعي الحديث، 2013.